http://www.shamela.ws
تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب: سلسلة شرح نظم الغزوات؛ إنارة الدجى في مغازي خير الورى
المؤلف: محمد سالم بن محمد الأمين المجلسي
المصدر:الشاملة الذهبية

بسم الله الرحمن الرحيم

تَفرِيغُ
سلسلة دروس
شَرحُ نَظمِ الغَزَوَاتِ
«إِنَارَةُ الدُّجَى فِي مَغَازِي خَيرِ الوَرَى صلى الله عليه وسلم»

للشيخ/ محمد سالم ولد محمد الأمين المجلسي
ـ حفظه الله ـ

[الشريط الأول]
بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين.
أما بعد؛
فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكل بدعةٍ ضلالة، نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة من الضلال أيًا كان، اللهم ربنا أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً ولا تجعلنا أتباعه، واجعلنا هداةً مهديين، لا ضالين ولا مُضلين.
هذا وسنبدأ -إن شاء الله سبحانه وتعالى- في دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لا لنستأنس بما فيها من القصص فحسب، وإنما لنتخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم، ونتأدب بآدابه، ولندعو بدعوته صلى الله عليه وسلم، ولنجاهد كما كان يُجاهد صلى الله عليه وسلم.
وعلّ دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم تحدّث حدثًا قويًا في قلوبنا نُحقق من

خلاله حبًا صادقًا للنبي صلى الله عليه وسلم، إذ لا سبيل إلى محبته صلى الله عليه وسلم إلا بمعرفته ولا سبيل لمعرفته إلا بعد دراسة سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم.

وقد روى الإمام البخاري ومسلمٌ -رحمهما الله- في صحيحيهما من حديث شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليهِ من والدِه وولدِه والناسِ أجمعينَ) (1).
?ورواه أيضًا البخاري -رحمه الله- في صحيحه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فوَالذي نَفْسي بيدِه، لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه وولدِه) (2)، أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.
فلذلك كان لزامًا على المرءِ أن يسعى لتعلم سيرته صلى الله عليه وسلم، ولذلك ألف العلماء الأخيار والأفاضل الأبرار في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أول من ألف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:
- "عروة بن الزبير بن العوام" الذي توفي سنة (93) من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- وكذلك ألف فيها "أبّان بن عثمان بن عفان" الذي توفي سنة (101) من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

- ثم بعد ذلك ألف كثيرٌ من العلماء؛ ففي القرن الثاني ألف فيها وصنف "محمد بن اسحاق" الذي من المعلومٌ أنه ضعيفُ الحديثٍ إلا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قويّ الحديث عند العلماء، ومن هنا يقول أهل العلم: "إن الناس في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عيالٌ على محمد بن اسحاق" -رحمه الله-.

_____
(1) انظر صحيح البخاري؛ رقم: (15)، وصحيح مسلم؛ رقم: (44)، وأما لفظ الحديث الذي ذكره الشيخ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين)، فلا يوجد بهذا اللفظ.
(2) انظر صحيح البخاري؛ رقم: (14)، وأما لفظ الحديث الذي ذكره الشيخ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين)، فلا يوجد بهذا اللفظ.

- وروى السيرة النبوية "ابن هشام" عن "محمد بن اسحاق" في كتابه المعروف بـ "السيرة النبوية".

- ثم بعد ذلك أيضًا توالى العلماء؛ فمنهم من يؤلف في الطبقات كما فعل "ابن السعدي" -رحمه الله- المتوفى سنة (230) من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه المعروف الطبقات.

- ومنهم من يتكلم ويُؤلف في التراجم وفيما يتعلق بالرجال كما فعل "أبو عمر بن عبد البر" -رحمه الله تعالى- المتوفى سنة (454) من هجرة النبي صلى الله عليه

وسلم، وكذلك فعل في "الاستيعاب".
- وفعله أيضًا "ابن حجر" -رحمه الله- في كتابه: "الإصابة".

- ومنهم من يؤلف فيها على سبيل الجمع كما فعل "أبو محمد بن حزم" -رحمه الله- المتوفى سنة (456) من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه: "جوامع السيرة النبوية".
- وفعل أيضًا السُهيلي في "الروض الأُنُف".
- وفعله أيضًا غيرهما من أهل العلم كالواقدي؛ الذي هو أيضًا أول من ألف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

- ومنهم من يؤلف في تراجم بعض الأخيار من الصحابة وغيرهم، كما فعل أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي -رحمه الله- في كتابه: "في تاريخ عمر بن الخطاب".
- وكما فعل الحافظ السيوطي في كتابه: "في تاريخ الخلفاء الأربعة" الخلفاء الراشدين.

وكما فعل غيرهم من الأئمة الأخيار؛ كانوا يصنفون في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا، ومنهم من كان مُتشددًا فيها، إلا أن الغالب على أهل العلم أنهم يتساهلون عندما يروون في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يتعلق بذلك المعنى، إلا في الأحكام فإنهم كانوا يتشددون؛ كما جاء عن أحمد بن حنبلٍ وعن غيره من الأئمة الكبار، وعلى هذا النهج سار كثيرٌ من العلماء؛ ومن هؤلاء العلماء أحمد البدوي الشنقيطي رحمه الله.
فالبدوي المجلسي -رحمه الله- لا يُعرف عنه الكثير، اللهم إلا فيما صنفه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صنف نظمه في أنساب العرب (1) الذي يذكر في أوله:
حمدًا لمن رفع الصّيت العربيّ ... وخصّهم بين الأنامِ بالنبيّ

صلى الله عليه وسلم، وهو في أكثر من ألف بيت، وتكلم فيه عن أنساب العرب، وعن سلكِ نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضًا عن سلكِ نسب الأنصار، ثم أيضًا في نظمه لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم؛ الذي هو النظم الذي بين أيدينا.
وأحمد البدوي -رحمه الله- هو من علماء هذه البلاد الكبار، توفي سنة (1208) من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مجلسيٌّ رحمه الله.
وكان قد تتلمذ على كثيرٍ من أهله من بني عمومته من مجلس العلم، وتفقه وأصبح فقيهًا وأديبًا لغويًا ولاسيما أصبح نسّابةً وسيريًا معروفًا؛ حتى أنه قيل إنه هو من أحيا السيرة وأنساب العرب في هذه البلاد، تمامًا كما يُقال إن الشيخ "سيدي عبد الله الحاج إبراهيم العلوي" -العلامة المشهور- يُقال أنه هو من أحيا علم أصول الفقه في نظمه لـ"مراقي

---
(1) اسمه: "عمود النسب".

السعود لمبتغي الرقيّ والصعود"، الذي همّشه في أصول الفقه وجمع فيه ما لم يُسبق إليه في هذه البلاد.
وتمامًا أيضًا كما يُقال إن "المُختار ابن بونا الجكني" -العلامة الكبير الشهير- هو من أحيا علم اللغة والصرف؛ خصوصًا فيما يتعلق باحمراره على "ألفية الإمام مالك"، وبالشواهد أيضًا التي أتى بها، وأخرج مما كانت فيه مخبأة.
فهؤلاء العلماء الكبار كان لهم دورٌ كبير في إثراء الساحة ال### (9.24)، وكان لهم دورٌ كبيرٌ أيضًا في نشر العلوم منهم أحمد البدوي -رحمه الله-، وصنف كتابه هذا الذي يُعرفُ بـ"نظم الغزوات".
وقد شرحه كثيرٌ من العلماء منهم ابن أخته (1) وهو "حمادٌ بن الأمين المجلسي" -رحمه الله- في كتابٍ سمّاه بـ"روضِ النهاة" شرح فيه نظم الغزوات.
كذلك أيضًا شرحه العلامة المحقق "عبد القادر محمد محمد سالم المجلسي" -رحمه الله-، وشرحه غيرهما من أهل العلم المعروفين.
وشرحه أحد الحِجازيين وهو العالم "المشاط"؛ وهو أحد العلماء المعروفين بالحديث، شرحه وهو من أهل الحجاز في كتابٍ سمّاه بـ"إنارة الدجى"؛ شرح فيه غزوات البدوي رحمه الله.
والبدوي هذا لا يكاد يُعرف له سوى هذين النظمين: "نظم الغزوات" وَ"نظم الأنساب" وله أنظامٌ أخرى مُتفرّقة.

_____
(1) بل هو ابن أخيه وهذا ما ذكره الشيخ حسن المشاط المالكي في كتابه: "إنارة الدجى"؛ (1/ 15)، وذكره الشيخ بكر أبو زيد في كتابه: "طبقات النسابين"؛ (1/ 188).

وهذا النظم الذي بين أيدينا يبلغ أكثر من (400) بيت، يقال إنه يبلغ بالضبطِ (455) بيتًا، ولكنّ كثيرًا من أهل العلم يزيد في هذا النظم، ومنهم من ينقص فيه؛ ولذلك فالنسخ تختلف فيما يتعلق بعدد أبيات هذا النظم.
وهذا النظم مُختصر، وسلسل العبارة، وفيه الكثير من الطرفِ والنُّكت، إضافة إلى فوائد لغويةٍ كثيرة لا تكادُ تُعد أو تُحصى.
وهو كسائر المؤلفات لا يخلو من أخطاء ينبغي التنبيه إليها، من تلك الأخطاء ما نبه عليه بعض شراحِ هذا النظم، ومن تلك الأخطاء أيضًا ما يوافقُ المؤلفَ عليه بعض شراح هذا النظَم، وكل ذلك لا يكاد يخلو منه مصنف، وقد عذر الله سبحانه وتعالى كلَ المصنفين بقوله سبحانه وتعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: (82)]، فما من كتاب إلّا وفيه أخطاء، وفيه اختلافات، وفيه غير ذلك إلّا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
هذا الكتاب يقول في أوّله ...
وسنتطرق -إن شاء الله سبحانه وتعالى- في هذا الدرس إلى ما يتعلّق بمقدّمته، وبعد ذلك -إن شاء الله سبحانه وتعالى- قد نأتي بنسخ من هذا النظم ليقرأها من أراد قراءتها، وليحفظها من أراد ذلك، وقد انتدب لذلك بعض الطلاب.
يقول في أوّله:

حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مرسَلِ ... لِخَيْرِ أُمَّةٍ بِخَيْرِ الْمِلَلِ
وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ ... عَلَى لُبَابِ صَفْوةِ الأَنَام

وَآلِهِ أَفْنَانِ دَوْحَةِ الشرَفِ ... وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِي نِعمَ السَّلَفْ
مَا أَرْهَفَتْ وَأَرْعَفَتْ يَرَاعَهُ ... فِي مُهرِقٍ يَنَابِعُ البَرَاعَهْ
وجَلْجَلَ الرَّعدُ وَسحَّ مُزْنُهُ ... وَهَبَّ شَمْأَلٌ وَمَاسَ غُصْنُهُ
وَبَعْدُ فَالعِلْمُ أَهَمُّ مَا الهِمَمْ ... تَنَافَسَتْ فِيهِ وَخَيْرُ مُغْتَنَمْ
وَخَيْرُهُ وَالعِلْمُ تَسْمو رُتْبَتُهُ ... مِنْ فَضْلِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ سِيرَتُهْ

عادة ما يبدأ المصنّفون بحمد الله سبحانه وتعالى وبالثناء عليه وبشكره على نعمه التي لا تكاد تعدّ أو تحصى، ولا تكاد تحسب أو تستقصى؛ فإنّ الله سبحانه وتعالى أنعم على النّاس وعلى المؤمنين خاصّة بنعم كثيرة فلذلك يبدؤون بالحمد، إضافة إلى ما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله سبحانه وتعالى فهو أجذم)؛ وهذا الحديث ضعيف، ومن أهل العلم من قال بحسنه ولكنّ الراجح والتحقيق ضعفه والله سبحانه وتعالى أعلم.
ولكنَّ للبدء بحمد الله سبحانه وتعالى وذكره والثناء عليه -فيما يتعلق بالخطب، وفيما يتعلق بالتصانيف، وفيما يتعلق بكثير من الأعمال الأخرى التي للإنسان فيها حاجة- لذلك أصول؛ عندما نفعل استقراءً لسنّة النبيّ صلى الله عليه وسلم ونتتبّع أيضًا عمل العلماء من خيرة هذه الأمّة ومن الخلف أيضًا، ولذلك بدأ بالحمد.
(حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مرسَلِ):

ومعنى هذا؛ أحمد من أرسل خير مرسلٍ حمدًا، وهذا مفعول مطلق، أي أحمد الله حمدًا.
(حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مرسَلِ)؛ وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول -كما روى أبو عيسى الترمذي في سننه- (1): (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر) (2)، وأصله في صحيح مسلم (3)، بل إنّ كثيرًا من أهل العلم نقلوا الإجماع على أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم هو أفضل خلق الله على الإطلاق، ولذلك يقول المقريّ في إضاءة الدجنة:
وانعقد الإجماعُ أنّ المصطفى ... أفضلُ خلقِ الله والخلقُ انتقى

صلى الله عليه وسلم، لذلك هو خير مرسل صلى الله عليه وسلم، وهو خير ما خلق الله سبحانه وتعالى، وهو سيّد ولد آدم، وقد أكرمه الله سبحانه وتعالى بما يدلّ على أنّه خير

---

(1) ما رواه أبو عيسى الترمذي في سننه؛ (3610)، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه، هو بهذا اللفظ: (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ)، وقال عنه الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ"، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (3610)، وفي ضعيف الجامع (1309).

(2) (أنا سيّدُ ولدِ آدمَ ولا فخْرَ) هذا الجزء من الحديث أورده المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (4/ 326) من رواية أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: "في إسناده علي بن يزيد بن جدعان"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (3643) بقوله: "صحيح لغيره"، كذلك صححه في تخريجه لشرح الطحاوية (160)، وفي صحيح ابن ماجه (3496)، وأورده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة (7/ 256) وقال عنه: "صحيح"، كما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد من رواية جابر بن عبدالله (10/ 378)، وقال عنه: "رجاله وثقوا على ضعف كثير في عبيد بن إسحاق العطار والقاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل"، وأورده ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية (4/ 216) من رواية عائشة أم المؤمنين، وقال عنه: "إسناده ضعيف"، ووصححه الألباني في تخريج كتاب السنة (793) من رواية عبد الله بن سلام، وقال عنه: "إسناده صحيح"، أما ما روي عن عائشة رضي الله عنها فقد قال عنه: "ضعيف جدًا"، وذلك في السلسلة الضعيفة (5679)، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه فقد أورده ابن القيم في حادي الأرواح (267)، وقال عنه: "ثابت".
(3) انظر صحيح مسلم؛ كتاب الفضائل، بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، حديث رقم: (2278) من رِوايَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ولفظه: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ).

العالمين صلى الله عليه وسلم؛ فقد أعطاه الشفاعة -كما هو معلوم في حديث الشفاعة الذي رواه البخاري وغيره في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (1) - ولذلك فإنّ النّاس يأتون الأنبياء، وما من نبيّ إلّا ويعتذر؛ يأتون آدم فيعتذر ثم يأتون نوحًا فيعتذر ثمّ إبراهيم فيعتذر، ثمّ يأتون موسى فيعتذر، ثمّ يأتون عيسى فيعتذر، ثمّ يأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها.
ولذلك قال عبد القادر بن محمد بن محمد سالم -رحمه الله- في عقيدته "الواضح المبين":
وحكمة الإتيان للكرام ... إظهار فضل سيّد الأنام
إذ لو أتوه أولاً ما شعشعا ... أنّ سواه لم يكن مشفعًا

صلى الله عليه وسلم، فهذا يدلّ على مكانته العظيمة صلى الله عليه وسلم، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى له الوسيلة، كما في الحديث الثابت في صحيح مسلم وغيره من حديث عبد الله ابن عمر ابن العاص رضي الله عنهما.
وهكذا إذًا فإنّ الله سبحانه وتعالى قال فيه: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى:5]، ولم يعطِ هذا إلّا للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وقال فيه {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} [الفتح:10].
ولذلك قال أحد الشعراء:
كيف السبيل إلى تقصّي مدح من ... قال الإله له وحسبك جاها

---

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه؛ كتاب التوحيد، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ

يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ -من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه- رقم الحديث: (7510).

إن الذين يبايعونك إنما ... هم من يقال يبايعون الله (1)

ولذلك أيضًا قال الله سبحانه وتعالى فيه: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4]، أثنى عليه القرآن.
ولذلك أحمد بن محمد سالم المجلسي -رحمه الله- يقول في نونيّته التي يقول في أوّلها:
وانعقد الإجماعُ أنّ المصطفى أتذري عينه فضض الجمان ... أفضلُ خلقِ الله
والخلقُ انتقى غرامًا من تذكره المغاني
مغانٍ بالعقيق إلى المنقى ... إلى أحد تذكرها شجاني
ومن تذكار منزلة بسلع ... إلى الجمَّا تعاني ما تعاني

يقول فيها:
وهل تُثني العبيد عليك يا من ... على أخلاقه تُثني المثاني

_____
(1) أصل الأبيات كما يلي:
أمداحه تبقى على مر الزمن * كمن آية فينا له مدح حسن
أعيت مدائحه الحسان ذوى اللسن * كيف السبيل إلى تقصي مدح من
قال الإله له وحسبك جاها
ما ضل صاحبكم فخص وكرما * وبقول ما كذب الفؤاد لقد سما
وكفاه ما قد قاله رب السما * إن الذين يبايعونك إنما
فيما يقول يبايعون الله
انظر؛ كتاب: "سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد" لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، (3/ 329).

فلمّا أثنى الله سبحانه وتعالى على النبيّ صلى الله عليه وسلم فلا ثناء كذلك إلّا بما أثنى الله سبحانه وتعالى به على نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم، ولذلك أيضًا قال البستي الأندلسيّ -رحمه الله- (1):
يا مصطفى من قبل نشأة آدم أيروم مخلوق ثناءك بعدما ... والكون لم يفتح له إغلاق
أثنى على أخلاقك الخلّاق

كذلك قال الله سبحانه وتعالى فيه أيضًا: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر:72]، ولذلك يقول المفسّرون كالقرطبيّ وغير واحد من المفسّرين: "إنّ الله سبحانه وتعالى أقسم ها هنا بعمر نبيّه صلى الله عليه وسلم وهذا غاية التعظيم والتشريف"، ولذلك فالنبيّ صلى الله عليه وسلم هو خير المرسلين، هو خير خلق الله سبحانه وتعالى.
(حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مرسَلِ):

والأصل في كلمة (خير) أن يقال: (أخير) لأنّها اسم تفضيل كما هو معلوم، ولكنّها أطلقت على الغالب فجرت ذلك المجرى، ولذلك يقول ابن مالك -رحمه الله- في ألفيّته في النحو:
وغالبًا أغناهم خيرٌ وشرّ ... عن قولهم أخيرُ منه وأشرّ

(1) قائل البيتين هو: لسان الدين ابن الخطيب (713 - 776 هـ)

فالأصل أن يقال: "أخير مرسل"، ولكنّه قيل: "خير مرسل"، كما قال الله سبحانه وتعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران:110]، فهذا جرى مجرى الغالب؛ وهو في الأصل اسم تفضيل.
ولذلك أيضًا يقول بعض النظّام عندنا:
ومن على ترك التعلّم استمرّ ... فهو كلبٌ أو حمارٌ أو أشرّ

يمكن أيضًا أن يقال: (شرّ)؛ كأن تقول: (أشرّ) أو أن تقول: (خير)، والأصل أن تقول: (أخير).
حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مرسَلِ ... لِخَيْرِ أُمَّةٍ بِخَيْرِ المِلَل

هذه الأمّة هي خير أمّة على الإطلاق، لا لأنّها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فحسب، وإنّما لأنّ الله سبحانه وتعالى جعلها كذلك، والخيريّة طبعًا إنّما نالتها بذلك، ولكن لابدّ أن تكون الأمّة كذلك، هذا أقوله حتّى لا يظنّ البعض إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنّما هما فرض على الكفاية فحسب، وإنّما ذكرا هذان الأمران في قوله سبحانه وتعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [آل عمران: 104] لبيان وظيفة هذه الأمّة؛ فـ (من) في قوله سبحانه وتعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ} ليست للتبعيض، معنى ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى لا يريد من بيننا أناسًا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بل إنّما يريد سبحانه وتعالى منّا كلّنا أن نكون آمرين بالمعروف وناهين عند المنكر، كقولي لأحدكم: "أريد منك عالمًا تقيًّا ورعًا، وأريد من سيّارتك سيّارة فاخرة" فلا يعني ذلك أنّي

أريد أن أقطعه أو أريد أن أقسّم سيّارته إلى سيّارتين إحداهما فاخرة والأخرى كما هي، وإنّما (من) تأتي بمعانٍ منها البيان.
فهذه الأمّة أمّة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر وهي إضافة إلى ذلك هي خير أمّة.
(خَيْرِ المِلَلِ):
(الملل) جمع ملّة، والملّة تقال للدّين، ودين الإسلام الذي جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم من عند الله هو خير الأديان، وشريعة الإسلام شريعة ناسخة لكلّ الشرائع، ولذلك يقول عبد القادر في "الواضح المبين":
وشرعه كلّ شريعة نفق ... إلّا الموافق له رفق

إلّا الموافق لشرع النبيّ صلى الله عليه وسلم فإنّه نافق ساقط، شرع النبيّ صلى

الله عليه وسلم هو خير شرع على الإطلاق، والملّة التي جاء بها من عند الله سبحانه وتعالى هي خير ملّة، ولايسمع به أحدٌ أيّ كان يهوديًّا كان أو نصرانيًّا ثمّ لم يؤمن به إلّا وكان على الله سبحانه وتعالى حقًّا أن يدخله النّار إذا ما مات على ذلك؛ كما صحّ في الحديث الذي رواه البخاري وغيره عن النبيّ صلى الله عليه وسلم (1).

حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مرسَلِ وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ ... لِخَيْرِ أُمَّةٍ بِخَيْرِ المِلَلِ عَلَى لُبَابِ صَفْوةِ الأَنَام

---

(1) الحديث نصه: (والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يَسْمَعُ بي أحدٌ مِن هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به، إلا كان مِن أصحابِ النارِ)، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه؛ (153).

(اللبابُ): يقال للأصل، لبابُ الشيء هو لب الشيء أصله، ولب المرء هو قلبه، وسمي بذلك لأنه هو المعتبر من الإنسان، ولذلك صح في الحديث الوارد في الصحيحين: (ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (1)، فهو الأصل.

وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالألباب ما يفعل الخمر

ولذلك يُقال أيضًا: إن النية إكسير العمل، أي أنها هي أصل العمل ومحل النية القلب، ولذلك كان القلب لبًا، والألباب التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن كثيرًا: جمع لب وهي القلوب السليمة، ولذلك مما قال غيلان ذو الرمة قوله:

والمهم أن ندرك أن لباب الشيء هو عقله.

وَ (الصفوة): هي الطبقة أو هو الأمر المختار المنتقى، والصفو هو في مقابل الكدر، وأصل ذلك من الصفاء أو من الاصطفاء، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو لبابُ صفوة الأنام الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى من عباده، اصطفى منهم النبي صلى الله عليه وسلم فهو أفضل خلق الله.

وَ (الأنام): يقال للبشر، ولغةٌ بها أيضًا الأنيم، الأنيم والأنام والناس والبشر كل هذا بمعنى واحد.

وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ ... عَلَى لُبَابِ صَفْوةِ الأَنَامِ

وَآلِهِ أَفْنَانِ دَوْحَة

---

(1) رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في صحيحه؛ (52)، وكذلك مسلم في صحيحه؛ (1599).

الشَرَفِ ... وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِي نِعمَ السَّلَفْ

(وَآلِهِ): أي وآل النبي صلى الله عليه وسلم، والآل يطلق في اللغة على معانٍ، وتطلق كما ذكر ابن بونا -رحمه الله- في قوله:

لُغاتُ (آلٍ) ذكر الأحباب ... أهلُ الفتى والشخصُ والسرابُ

فالآل تقال للأهل، وتقال للفتى للشخص، وتقال أيضًا للسراب؛ فمن ذلك المثل: "ما آلٌ كبَلَال"، بعضهم يقول: "ما آلٌ كبِلَال"؛ المكان الذي فيه الماء: أي أنه مدلول، كما نقول: "هذا ليس كالآل": أي ليس كالسراب.
وآل النبي صلى الله عليه وسلم تطلق في الأصل على أهل بيته، ومن أهل العلم من قسمها بحسب المقامات، ولذلك يقول بعضهم:
آل النبيّ سيّدِ الأنامِ ... مختلفٌ بحسب المقام
مؤمنُ هاشمٍ عُنُوا بالآلِ ... في منع إعطاء زكاة المال
وإن إلى نهجِ الدعاءِ تذَهبِ ... فالمؤمنون كلهم آل النبي
وفي مقام المدح هم أهل العبا ... ءة الذين الرجس عنهم ذهبا
وطُهروا لما دعوا تطهيرًا ... طوبى لهم دعاءه الشهيرا
طه وبنت المصطفى سبطاها ... وبعلها سليل عم طه

صلى الله عليه وسلم، مع أن (طه) على التحقيق ليست من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذلك مرويًا عن ابن عباس ولكنه لا يصح.
فآل النبي صلى الله عليه وسلم شبههم الناظم بـ (أَفْنَانِ دَوْحَةِ الشَرَفِ)؛ و (الأفنان): جمع فنن، والفنن يقال للغصن، ومن أحسن الشعر قول الشاعر:
ربّ ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شدو صدحت في فنن
ذكرت إلفًا ودهرًا خاليًا ... فبكت شوقًا وهاجت حزني
فبكائي ربما أرّقها ... وبكاها ربما أرّقني
ولقد تشكو فما أسمعها ... ولقد أشكو فما تسمعني
غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضًا بالجوى تعرفني

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شدوٍ صدحت في فنن
وَ (في) قد تطلق بمعنى (على)؛ أي (على فَنن) وَ (على غصن)، فهؤلاء أفنان دوحة الشرف.
وَ (الدوحة) تقال للشجرة العظيمة الكبيرة.
وَ (دَوحَةُ الشَّرَفِ) إنما شبه بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك ذكرها هنا حماد بن الأمين -رحمه الله- عند شرحه لهذا البيت ما أنشده أبو تمام حبيب بن أوس حينما مدح أحد الأمراء بقصيدته التي يقول فيها:
إقدامُ عَمْرٍ في سَماحة

حَاتِمٍ ... في حِلمِ أحنَفَ في ذَكاءِ إيَاس

- قال له: "أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب؟ "، قال بعض الحاضرين ذلك.
- فقال على سبيل السرعة والبديهة:
لا تنكروا ضربي له مَن دونه ... فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً شروداً في الندى والبأس مثلاً من المشكاة والنبراس

فالنبي صلى الله عليه وسلم أفضل وأشرف وأكرم من الدوح، وكذلك آل بيته الذي لهم أفنان هذه الدوحة على سبيل هذا التشبيه، ولكنه قد يُشبّه المشبه بمشبهٍ به دونه في الفضل وهذا يسميه كثيرٌ من أهل البلاغة بالتشبيه المقلوب أو التشبيه المقلوب على الأصح قريب من هذا، كأن نقول مثلاً: "الأسد كمحمدٍ في الشجاعة"، وهذا على سبيل ما يقول أهل البلاغة ليس هو التشبيه بالمقلوب ولكنه قد يكون أبلغ من ذلك.
وَآلِهِ أَفْنَانِ دَوْحَةِ الشَرَفِ ... وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِي نِعمَ السَّلَفْ

(الصحبُ): هم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم الذين سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يروه؛ كمن كان أعمى كعبد الله بن أم مكتوم.
وحدّ الصحبة لأهل العلم -خصوصًا في كتب مصطلح الحديث- كلام قد يطول فيه، المهم أن الصحابة معروفون.

(وَالتَّابِعِي نِعمَ السَّلَفْ): وهؤلاء التابعون لهذا السلفي الناعم الخير الطيب الطاهر أيضًا نصلي عليهم على سبيل التبعية، وهذا جائزٌ باتفاق أهل العلم؛ أن نصلي على الأخيار الأفاضل، ولكن على سبيل التبعية، وإنما اختلف أهل العلم فقط في الصلاة على الشخص بعينه لا على سبيل التبعية: أي على الشخص غير النبي صلى الله عليه وسلم، والراجح من أقوال أهل العلم هو أن ذلك مكروهٌ كراهة التنزيه، كما قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لسورة الأحزاب في قوله الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:56]، وذكر نحو ذلك أيضًا النووي -رحمه الله-.
وَآلِهِ أَفْنَانِ دَوْحَةِ الشَرَفِ مَا أَرْهَفَتْ وَأَرْعَفَتْ يَرَاعَهُ ... وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِي نِعمَ السَّلَفْ فِي مُهرِقٍ يَنَابِعُ البَرَاعَهْ

وَ (المُهرق) أو (المَهرق) يقال للصحيفة وتجمع على مهارق كمسند ومساند.
وَ (اليراعة): هي نوع من القصب كان الناس يحبذونه للكتابة.
أَرْهَفَتْ وَأَرْعَفَتْ يَرَاعَهُ ... فِي مُهرِقٍ يَنَابِعُ البَرَاعَهْ

(الينابع): جمع ينبوع وهو الذي تفيض منه المياه العذبة، يفيض منه المعين الزلال هذا يسمى بالينبوع.
(أرهفت): أي أمطرت.
أو (أرعفت): من الرّعاف.

المعنى أنها تصب وتسحّ في تلك المهارق التي هي الكتب بينابع البراعة، وهذا أيضًا تشبيهٌ بليغ، وها هنا استعارات أيضًا جميلة لأن الناس يتسابقون يكتبون أحسن ما تجود به قرائحهم ويصنفون ويرتبون ذلك وينظمونه، فما بقي الأمر كذلك فهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.
وجَلْجَلَ الرَّعدُ وَسحَّ مُزْنُهُ ... وَهَبَّ شَمْأَلٌ وَمَاسَ غُصْنُهُ

وَ (الشمأل): لغة في الشمائل وهي ريحٌ تهب من هناك، ثمة ريحٌ تسمى أو رياحٌ

تسمى بـ (الدّبُور) وثمة رياحٌ أخرى تسمى بـ (الصّبَا)، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (نُصرت بالصبا وأُهلكت عادٌ بالدبور) كما روى أحمد وغيره (1).
(وَهَبَّ شَمْأَلٌ وَمَاسَ غُصْنُهُ):
(ماس الغصن): إذا تحرّك.
وَبَعْدُ فَالعِلْمُ أَهَمُّ مَا الهِمَمْ ... تَنَافَسَتْ فِيهِ وَخَيْرُ مُغْتَنَمْ

(وبعد)، وَ (أما بعد) هذه حروف استئناف، ولابد لها من جواب، وجوابها تسبقه الفاء وجوبًا، عندما يقول الخطيب منا: "أما بعد" أو يقول: "وبعد" أو يقول: "أما"، ويتكلم كلامًا،

_____
(1) انظر مسند الإمام أحمد (4/ 354) - (5/ 180) من رواية عبدالله بن عباس، تحقيق: أحمد شاكر، كما رواه البخاري في صحيحه، وأرقام الأحاديث: (1035 - 3205 - 4105 - 3343)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث: (900).

فعندما يأتي جواب (وبعد) أو جواب (أما بعد) أو جواب (أما) لابد من الفاء، فعندما يتكلم الواحد منا يقول: "إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره". ثم يقول: "وبعد"، لا يصح أبدًا أن يقول: "روى الإمام البخاري في صحيحه"، أو "وبعد قال رسول الله"، "وبعد أوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله"، "أما بعد عليكم أن تفعلوا كذا"، "أما من رام كذا فلابد أن يفعل كذا" (1)، لا؛ لابد من الجواب بالفاء.
أمّا كمهما يك من شيء وفا ... لِتِلو تِلوها وجوبًا ألفا

كما ذكر ابن مالك في ألفيته -رحمه الله-.
فعندما يتكلم أحدنا فيقول: "أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله"، أقول: "أما من حفظ منكم وقرأ وتعلم وتذاكر وحضر مجالس العلم فسيصبح عالمًا بإذن الله فسيصبح عالمًا بإذن الله".
ولذلك قال:
وَبَعْدُ فَالعِلْمُ أَهَمُّ مَا الهِمَمْ ... تَنَافَسَتْ فِيهِ وَخَيْرُ مُغْتَنَمْ

وعندما نجد "أما بعد" أو "بعد" أو ما إلى غير ذلك في النظم خصوصًا، ولا نجد أن الجواب مسبوقٌ بالفاء فإنما تقود الضرورة العلماء إلى ذلك، أما الأصل فإنه كما ذكرناه.
وَبَعْدُ فَالعِلْمُ أَهَمُّ مَا الهِمَمْ ... تَنَافَسَتْ فِيهِ وَخَيْرُ مُغْتَنَمْ

_____
(1) هذه العبارة صحيحة؛ حيث اتصلت الفاء بالجواب.

خير ما تتنافس فيه (الهمم): وهي جمع همة، هو هذا العلم، وهو (خير مغتنم)، ولذلك من أحسن الشعر ما قاله أحد الشعراء:
العلم أفضل ذخرٍ أنت ذاخره ... من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
اقبل على العلم واستكمل مقاصده ... فأول العلم إقبال وآخره

يقال في كل شيء إن أوله إقبال وإن آخره إدبار إلا العلم؛ فإنه يقال إن أوله إقبال وآخره أيضًا إقبال، فهو خير ذخر وهو (خير مغتنم)؛ خير ما يغتنمه الإنسان هذا العلم.
والأصل أن العلم في اللغة يقال للإدراك أو هو إدراك حقيقة الأشياء على ما هي عليه.
فمن أدرك حقائق الأشياء فقد علمها وهو عالمٌ بها، أما من لا يعرف حقائقها، ولا يدرك كُنهها فإنه لا يسمى عالمًا، ولذلك العلم هو ما كان محققًا، وكان أيضًا مستبينًا واضحًا جليًا عند صاحبه، ولذلك يقول بعضهم:
العلم ما حُقِّق واستبانَ ... وغيره ليس بعلم كانَ

ولا سبيل إلى التحقيق ولا إلى الإبانة والإيقان إلا بما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله، فهذا هو العلم، ولذلك أحسن الأندلسي القرطبي الذي قال في سينيته الرائعة:
ما العلم إلا كتاب الله أو أثرٌ ... من الرسول يجلّي كل ملتبس (1)
فأنهل بقلبك فيضًا من

---

(1) الشطر الصحيح: يجلو بنور هداه كل ملتبس.

معينهما ... واغسل بهديهما ما كان من دنس (1)
واقفُ النبي وأصحاب النبي وكن ... بنهجهم بإتباع خير مقتبس (2)
واسلك طريقهم واتبع (3) فريقهم ... تكن رفيقهم في حضرة القدس

فهذا هو العلم وحملته هم العلماء حقًا، وعندما نتتبع الآيات في كتاب الله وكذلك الأحاديث في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإننا سنجد في ذلك ما يحدو بنا إلى أن ننهل من هذا المعين الذي لا ينضب، فحسبنا أن نقرأ قول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28].
فثمرة ما نعمله هو الخشية، وهذه الخشية التي هي ثمرة العلم إنما يحققها العلماء، ومن المعلوم أنه لا عمل إلا بعلم ومن المعلوم أن أي علمٍ بلا عملٍ لا يثمر، وثمرة هذا العلم هي الخشية وإنما جعلها الله سبحانه وتعالى للعلماء، والنبي صلى الله عليه وسلم -كما في صحيح مسلم- يقول في الحديث الذي رواه أبو هريرة كما سمعتم بعضه في أوله: (ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وَمَا اجتمعَ قَومٌ فِي بيتٍ مِن بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كِتَابَ اللَّهِ ويتدارسونهُ بينهم إلا نزلت عليهِمُ السَّكِينةُ وغَشِيَتهمُ الرَّحمةُ وَحفَّتهمُ المَلائكَةُ وذكرهمُ اللَّه فيمَن عِندَهُ، وَمَن بطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَم يُسرِع بِهِ نَسبهُ) (4)، وفي رواية لابن ماجه: (ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) (5)، وقد ذُكِر للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) البيت الصحيح: ورد بقلبك عذبا من حياضهما تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس

(2) البيت الصحيح: واقف النبي وأتباع النبي يكن من هديهم أبدا تدنوا إلى قبس
(3) الصحيح: والزم فريقهم.
(4) انظر صحيح مسلم؛ (2699).
(5) انظر صحيح ابن ماجه للألباني؛ (185).

رجلان -كما في سنن أبي عيسى الترمذي وقال إنه حديث حسن صحيح من حديث أبي أمامة (1) - أنه ذُكِر للنبي صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عالم والآخر عابد فقال صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم).
ولذلك العلم لا شك أن طلبه واجب، ويتأكد الوجوب عندما يكون المطلوب من العلم واجبًا، فيجب على كل امرئ أن يتعلم دينه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد مدح الله سبحانه وتعالى أهل العلم وحملته وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كما أسلفت يضيق عنه المقام، فمن أحسنِ ما ينسب إلى عليٍ بن أبي طالبٍ -رحمه الله- قوله:
النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التِّمْثَيلِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمٌ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ
فإن يكن لهمُ في أصلهم شرفٌ ... يفاخرون به فالطين والماءُ
ما الفَخر إلا لِأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ ... عَلى الهُدى لِمَنِ اِستَهدى أَدِلّاءُ
وقدر كلّ امرئ مَا كان يُحسنُهُ ... وَالجاهِلونَ لِأَهلِ العِلمِ أَعداءُ
فَفُز بِعِلمٍ تعش حيًا به أبدًا ... فَالناسُ مَوتى وَأَهلُ العِلمِ أَحياءُ

وفي هذا المعنى أيضًا ما قاله الشاعر:
أَخُو العِلمِ حيٌّ خَالِدٌ بَعدَ مَوتِهِ ... وَأَوصَالُهُ تَحتَ التُّرَابِ رَمِيمُ

(1) انظر سنن الترمذي (2685)، وقال الترمذي: "غريب".

وَذُو الجَهلِ مَيتٌ وَهوَ يمَشي عَلَى الثرى ... يُعد مِنَ الأَحيَاءِ وَهوَ عَدِيمُ

نسأل الله السلامة والعافية، ولذلك على المرء أن يسعى في طلب العلم خصوصًا في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وعم فيه الجهل، وليس هو ببعيد من الزمان الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك البخاري -رحمه الله- في كتاب الفتن من صحيحه؛ جاء عن أبي أيوب وعن أبي هريرة وعن غيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا (1)، يُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ)، وَالهَرْجُ: القَتْلُ (2).
ففي هذا الزمان يتأكد وجوب طلب العلم؛ لكثرة علماء السوء، ولكثرة الضلال، ولكثرة الكتب التي فيها من الباطل ما فيها، ولكثرة الفتن، ولقلة العلماء، ولقلة أهل الورع، ولقلة أهل التقوى؛ وجب على كل امرئ أن يشمّر عن سواعد الجد والاجتهاد حتى يطلب دين الله سبحانه وتعالى، وحتى يلقى الله سبحانه وتعالى وهو على بينة: {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ} [الأنفال: 42]، كما قال الله سبحانه وتعالى جل من قائل.

(1) ما ذكره الشيخ بلفظ: (لأيامًا)؛ ورد في حديث رواه البخاري -رحمه الله- في

صحيحه، رقم الحديث: (7062) وتمام لفظه: (إنَّ بين يدي الساعةِ لأيامًا ينزلُ فيها الجهلُ، ويُرفعُ فيها العِلمُ، ويكثرُ فيها الهرْجُ). "والهرْجُ القتلُ"، من رواية عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.
(2) انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم الحديث: (7064)، والحديث رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وليس كما ذكر الشيخ أنه من رواية أبي أيوب وأبي هريرة رضي الله عنهما وغيرهما.
والزيادة التي ذكرها الشيخ بقوله: " قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: الهرج القتل" فهي مدرجة من حديث آخر رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه بلفظ: (لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يَكثرَ الهرْجُ، قالوا: وما الهرْجُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: القَتلُ، القَتلُ)، والحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، ورقم الحديث: (157).

وهذا لا يُنال بمجرد التمني؛ وإنما لابد فيه من العمل والعزيمة والهمة الكبيرة التي تناطح مناكب الجوزاء، لابد من همة متوقدة وعزيمة مشتعلة كي ما نتعلم دين الله سبحانه وتعالى؛ أن نحفظ، وأن نحضر، وأن نستمع، وأن نتذاكر مع الآخرين، وأن نكتب، وأن نكرر، وأن نسهر لربما، وأن نتفرّق في بعض الأحيان، وأن نقتطع من أوقاتنا لا ما كان فاضلاً فحسب، أعني ما كان عن فضل، وإنما أن نأخذ من أوقاتنا أغلاها وأعزها علينا حتى نتعلم دين الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن ذلك حقيقٌ وجديرٌ بكل مسلم أن يسعى سعيه وأن يسعى لتحصيله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.
العلم له شروط لابد من الأخذ بها كي ما ننناله، بعضهم يقول: "إذا المرء اشترى بصلة فلا تسأله عن مسألة".
شروط العلم أربعةٌ ... فأولها التفرغ له
وحفظ ثم فهم ثمّ ... حملكه عن الحملة

مجرد الاستماع لوسائل الإعلام لاشك أنه قد لا نُحصّل به العلم المرضي عند الله المرجو المطلوب المقصود، وإن كان في ذلك خير لا يكاد يخفى، كذلك لابد من حمله من عند حملته، كذلك لابد من التفرغ له، كذلك أيضًا لابد من الحفظ؛ "فالعلم فازت به الحفاظ" كما كان سلفنا يقولون.
وكذلك يقول بعض علمائنا:
كتب إجازة وحفظ الرسم
قراءة تدوين أخذ العلم

ومن يقدم رتبة عن المحل
من المراتب المرام لم ينل

فهذه المنهجية علينا أن نسعى لتحصيلها وتحقيقها، ومما يؤثر عن الشافعي ويذكر عنه قوله:
أَخي لَن تَنالَ العِلمَ إِلّا بِستَّةٍ ... سَأُنبيكَ عَن تَفصيلِها بِبَيانِ
ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاِصطبارٌ وَغربةٍ ... وَصُحبَةُ أُستاذٍ وَطولُ زَمان

وكذلك لابد من التدرج؛ أخي لن تنال العلم كما قال أحدهم:
ترقَّ إلى صغير العلم كي ما ... يرقيك الصغير إلى الكبير

ويبدأ المرء بما يفهم، ويؤسس إذا ما أراد أن يقرأ أمهات الدواوين، مثلاً: فينبغي أن يقوم الواحد منا كي ما يقرأ "ألفية الإمام مالك" في النحو لابد أن يؤسس لها مثلاً بدراسة "ملحة الإعراب" أو بدراسة "عبيد ربه" (1) مثلاً هكذا.
إذا ما أراد أن يدرس أصول الفقه فينبغي أن يرتقي إلى "مراقي السعود" (2)، أو "نفائس الأصول" (3) للقرافي، أو أن يدرس مباشرة "إرشاد الفحول" (4) للإمام الشوكاني، أو أن يدرس غير ذلك من كتب الأصول، كجمع الجوامع للسبكي أو كأصول المحلي (5) أو غير ذلك.

(1) "نظمُ الآجُروميّة فِي النحو" للشّيخ محمد بن آبّهْ الشّنْقيطي، المسماة منظومة عبيد ربه.
(2) "منظومة مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود" لعبد الله إبراهيم العلوي الشنقيطي.
(3) "نفائس الأصول في شرح المحصول".
(4) " إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول".
(5) "شرح الورقات في أصول الفقه".

وإنما عليه مثلاً أن يؤسس لذلك على بعض المختصرات كالورقات لإمام الحرمين أو بعض أنظامها أو كبعض الكتب التي هي دون الورقات في الحجم والجمع.
هكذا علينا أن نبدأ بالصغير قبل الكبير، وبالقليل قبل التنسيق الكبير هكذا علينا أن نفعل، كذلك إذا ما قرأ الواحد منا متنًا عليه أن يلازمه حتى ينهيه ويضعه جانبًا ثم بعد ذلك يأخذ متنًا آخر.
عندما تكون الأهواء متفرقة تارة يود حفظ "عمدة الأحكام" فيبلغ منه عشرين حديثًا فيتركه ثم يتجاوز إلى "بلوغ المرام" أو يجد مثلاً أن نظم البدوي للغزوات هو نظمٌ سلسٌ حسن العبارة فيقول إنه سيترك ذلك ويبدأ به ثم إذا ما وجد بعض العبارات الصعبة فيه قال أنه سيتركه حتى يدرس "عبيد"، وإذا ما درس "عبيد" فإذا به لا يكاد يفهم منه الكثير قال أنه سيترك كل هذا ويدرس مثلاً بعض الأحكام من بعض كتب النثر هذا فرقته أهواءه فإذا ما رجع يرى أنه نسي الأحاديث التي حفظ من عمدة الأحكام، وإذا ما أراد تداركها سيجد أنه قد نسي الأبيات التي حفظ من "عبيد" أو من غير ذلك وهكذا.
فالواجب علينا الالتزام بكتاب معين صغير الحجم إذا ما كنا مبتدئين فإذا ما أنهيناه وتركناه جانبًا فما حصّلنا منه من العلم فبها ونعمت، وما فاتنا فإن كنا نريده أن نعيده من أول فهو أمر حسن، وإن كنا نود تركه وتجاوزه إلى غيره فلنا أن نفعل ذلك، ولكن نبدأ بهذا لنحصل منه كلمات؛ لا يكون من المستحسن أن يأخذ الواحد منا من كل علم شيئًا، هذا قد يكون أمرًا حسنًا، ولكنه إنما يكون ذا فائدة إذا كان مؤسسًا على شيء.

مثلاً: من تجاوز إلى دراسة الدوال العددية مثلاً كما -وإن كان أكثركم من الطلبة- فكأنه محالٌ أن يدرس هذه الدوال وأن يجد أي حل ما يتعلق بها من أصلٍ واشتقاقٍ ونهاياتٍ وما إلى غير ذلك، وهو لا يعرف كيف يحل مثلاً معادلةً من الدرجة الثانية، لاشك أن هذا مستحيل؛ لا يمكن أن يكون أبدًا فلابد أن يؤسس لهذا الأمر على ما قبله، فلذلك إذا ما ابتغى الواحد منا علمًا وعلم منه شيئًا فإن ذلك الشيء لا يكون ذا فائدة إلا إذا كان قد بناه على شيء، لابد أن يُبنى عليه ذلك الأمر، فإذا فعلنا ذلك وحصلنا كثيرًا منه ولو لم نحط بها.

[الشريط الثاني]

بسم الله الرحمن الرّحيم

وصلّى الله وسلّم على أشرف المرسلين و على آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فإنّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمّد - صلّى الله عليه وسلّم -، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة نسأل الله سبحانه و تعالى السلامة من الضّلال أيّاً كان.

اللهم ربنا أرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً ولا تجعلنا أتباعه، واجعلنا هداةً مهديّين لاضالّين ولا مضلّين.

هذا وقد تكلّمنا في المرّة الماضية عن المقدّمة التي عقدها النّاظم، و التي اعتذر فيها عن نفسه قائلاً: إنّه لا بدّ من أن تكون في هذا النظم أخطاءٌ وأغلاط، كذلك ذكرنا أنّ ثمّة أخطاءً وقع فيها النّاظم ووقع فيها كذلك شارحه الأساسيّ وهو حمّاد ولد لمين المجلسي رحمه الله، ولكن كلّ ذلك لا يقلّل من أهميّة هذا النظم البديع؛ لما حواه من فرائد العلم، و من النكت البديعة، ومن فرائد الفوائد، و هاهنا نصل إلى بداية هذا النّظم عند قول النّاظم:

أَوَّلُ غزوةٍ غزاها المصطفى *** ودانَ فالأبواء أو ترادَفا
ثُم بواطٌ خرجوا لِعيرِ*** أُمَيَّةَ بن خلفِ السَّفسير
ثمَّ العشيرة إلى عير أبِي *** سفيان في ذهابها للأربِ
فَبَدرٌ الأولى بإثرِ ناهبِ *** سرح المدينة مغذٍّ هاربِ

كُرز بن جابر وبعدُ استنقذا *** لِقاحه ممن عليه استحوذا
فبدرٌ الكبرى لعير صخر *** آئبةً من شامها بالكثر

الشرح:

بدأ النّاظم رحمه الله بأوّل غزوات النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - وهي غزوة ودان، وعلماء السيرة يطلقون الغَزوة أو الغُزوة على كلّ ما خرج فيه النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -، فعندما يخرج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - مع أصحابه على جيشهم بنفسه يريد المشركين ليقاتلهم فإنّ خروجه - صلّى الله عليه وسلّم - ذلك يسمّيه العلماء (غزوة)، وعندما يرسل الصحابة الكرام لذلك الهدف ويبقى عنهم لا يخرج معهم فإنّهم يسمّون خروج الصحابة ذلك (سريّة)، و عندما يرسل النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - بعض أصحابه لا للقتال و إنّما قد يرسلهم عيناً على المشركين أو يرسلهم ليعلّموهم أو ليقرؤوهم القرآن فإنّ خروجهم عند ذلك يسمّيه العلماء (بعثاً)، وهذا هو الفرق بين الغُزوة وبين السريّة وبين البعث.

و النّاظم ـ رحمه الله ـ إنّما أراد أن يعقد غزوات النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فرام ـ رحمه الله ـ نظماً بهذه الغزوات، و لذلك لم يذكر كثيراً من السرايا والبعوث، لم يتطرّق إليها النّاظم ـ رحمه الله ـ؛ لأنّه لم يرد النظم لذلك أصلاً، مع ذلك قد يورد في هذا النّظم بعض البعوث كما فعل في شأن بعث الرجيع و بعث بئر معونة ولكنّ الضرورة قد تؤدّي إلى ذلك.

البيت:

أَوَّلُ غزوةٍ غزاها المصطفى * ودانَ فالأبواء أو ترادَفا**

الشرح:

الغَزوة أو الغُزوة أو الغَزاة، كما قلنا تُطلق على ماخرج فيه النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ مع أصحابه يريد قتال المشركين، والغزوة أصلاً تُطلق على ما كان للطلب، ولذلك يُقال للشخص ما مغزاك من كذا؟ أي ما مطلبك منه و ما مقصدك؟ ولذلك قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة:" من مات ولم يغزو ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النّفاق "، فـ" مات ولم يغزو " لم يطلب قتال الكافرين، ومن هنا دلّ هذا على أنّ غزوات النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الغالب إنّما هي للطّلب، وماكان منها على وجه الدفع أي دفع الأعداء فإنّه معدود ومعروف كما سنأتي على ذلك بإذن الله سبحانه وتعالى.

فأوّل غزوات النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ التي يطلب فيها المشركين إمّا للقتال وإمّا لنهب أموالهم هي غزوة (ودّان)، أوّل غزوة غزاها المصطفى ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ودّان، و ودّان تطلق على موضع، وقيل أنّ أوّل غزوة غزاها النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ هي غزوة الأبواء و هو موضعٌ هو الآخر، قيل أنّه يبعدُ عن المدينة ستّة فراسخ، و الأبواء به قبر أم النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ آمنة بنت وهب، وقيل أنّ الغزوتين هما غزوةٌ واحدة و هذا هو المشهور عند أهل السيرة.

أَوَّلُ غزوةٍ غزاها المصطفى * ودانَ فالأبواء أو ترادَفا**

و الترادف هو: أن يُطلق الإسمان على معنى واحد على مسمّى واحد، فالأبواء هي ودّان وودّان هي الأبواء، وهذه الغزوة خرج إليها رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ على رأس إثنا عشر شهراً من هجرته ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أي في السنّة الأولى من هجرته ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ خرج في هذه الغزوة، خرج يريد قريشاً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وقيل أنّه إنّما خرج يريد بني ضمرة، واستخلف النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في هذه الغزوة على المدينة سعد ابن عبادة ـ رضي الله عنه ـ هو سيّد بني ساعدة وهو سيّد الخزرج، وجعل

النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حمزة ابن عبد المطّلب حاملاً للّواء وكان اللواء أبيض، و خرج النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يريد عدوّه من قريش، ولم يدركهم ووقع ما يُعرف عند أهل السيرة بالموادعة حيث وادع النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بني ضمرة، و تلاقى الفريقان، تلاقى النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وقريش وقيل إنّه تلاقى مع بني ضمرة ولم يقع قتال، واصطفّ الجيشان، نعم كاد الفريقان يقتتلان، ولكن لم يقع قتال، وبعد ذلك عقد النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ

الصلح مع بني ضمرة مع شيخهم وسيّدهم مخشيّ ابن عمر الضمريّ وهو الذي مشى بين الفريقين، يمشي بين هؤلاء وبين هؤلاء حتّى عقد الصلح، وكان من مضمون ذلك الصلح أن لا يُعين بنو ضمرة أحداً على قتال النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - وأن لا يُكثروا عدوّه وأن يعينوه عندما يطلب منهم الإعانة، ولهم ذلك أيضاً أن لا يقاتلهم النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - ولا أصحابه، وكانت غيبة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - خمس عشرة ليلة ولم يقع قتال كما أسلفنا، وهذه هي أوّل غزوة خرج فيها النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -.

الأبيات:

أَوَّلُ غزوةٍ غزاها المصطفى * ودانَ فالأبواء أو ترادَفا**
ثُم بواطٌ خرجوا لِعيرِ * أُمَيَّةَ بن خلفِ السَّفسير**

الشرح:

بعد هذه الغزوة، غزوةٌ تسمّى بغزوة (بواط)، وبواطٌ موضع به جبل أو به جبلان هما فرع عن جبل واحد بجهينة، خرج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - إلى جهته يريد عيراً لقريش كان على رأسها أميّة بن خلف الجمحي وهو أحد سادة قريش وصناديدهم وقُتل على كفره وشركه يوم بدر نسأل الله السلامة والعافية، خرج النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم - في مائتين

من أصحابه يريد تلك العير، التي كان فيها أميّة ابن خلف مع مائة رجلٍ من قريش، وكان عندهم ألفان وخمسمائة بعير، ولم يقع قتال، فاتته هذه العير، وكان النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - قد خلّف على المدينة سعد بن معاذ - رضي الله عنه - وهو سيّد الأوس، سيّد بني عبد الأشهل، وجعل النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم - اللواء في هذه المعركة إلى سعد ابن أبي وقّاص، ويروى وهو الصحيح أنّه إنّما جعل اللّواء لغيره، وثمّة سرايا وقعت قبل هاتين الغُزوتين وسنأتي على ذكرهما إن شاء الله سبحانه وتعالى.

والسّفسير تُقال للقيّم على الأمر، تُطلق على البائع، و تُطلق على السيّد، وتُطلق على الخادم، وتُطلق على القيّم على الأمر الذي يصلحه، فهذا هو السّفسير.

ثمّ بعد ذلك ذكر غزوة العُشيرة:

ثمَّ العُشيرة إلى عير أبِي * سفيان في ذهابها للأربِ**

الشرح:

والعُشيرة هي الأخرى موضع هو موضع بعيد عن المدينة، قيل إنّه يبعد عنها ستّة أميال، وهذا الموضع خرج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - إلى جهته يريد عيراً لقريش وكان على رأسها أبو سفيان، صخر ابن حرب - رضي الله عنه -، فخلّف النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - على المدينة زيد ابن حارثة - رضى الله عنه - و جعل اللواء إلى علي ابن أبي طالب وكان أبيض، وخرج النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - في مائة وخمسين من أصحابه وقيل في مائتين وفاتتهم تلك العير و لم يدركوها، إلّا أنّ خروجهم لتلك العير ومحاولتهم لنهبها كان كلّ ذلك سبباً في غزوة بدر الكبرى كما سنرى بإذن الله سبحانه و تعالى، لأنّ هذه العير لمّا فاتتهم وذهبت إلى الشام كانوا يتحسّسون مقدمها ورجوعها، فكان النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - يرسل الصّحابة يتحسّسون الأخبار ويأخذون العيون، فأتاه طلحة ابن عبيد الله و

سعيد ابن زيد ـ رضي الله عنهما ـ وهما من الصحابة الأجلّاء، هما من العشرة المشهود لهم بالجنّة، فأتياه بالخبر بعد ذلك، فخرج النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يريد العير ولم يكن قد تأهّب للمعركة الفاصلة الحاسمة التي وقعت يوم بدر كما سنرى بإذن الله سبحانه و تعالى.

البيت:

ثمَّ العُشيرة إلى عير أبِي *** سفيان في ذهابها للأربِ

الشرح:

كانت ثمّة رحلة من مكّة إلى الشام، وهذه الرحلة هي التي كانت تعرف برحلة الشتاء والصّيف، كانت عندهما رحلتان، رحلة في الشتاء ورحلة في الصيف، وكانوا يأخذون الأموال الكثيرة الطائلة وكانوا يربحون أيضاً الكثير من الأموال، حتّى أنّهم كانوا يربحون في كلّ دينار دينارين، ومن المعلوم أنّ المشركين يوم بدر لما هزمهم النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أرادوا أن يجعلوا من يوم أحد عبرة لكلّ من أراد أن يدخل في الإسلام، فأخذوا أرباح هذه العير فأرادوا أن يجهّزوا بها جيشاً لقتال محمّد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وأصحابه فنزل قوله سبحانه و تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال:36] كما سنرى بإذن الله سبحانه وتعالى في غزوة أحد.

الأبيات:

ثمَّ العُشيرة إلى عير أبِي *** سفيان في ذهابها للأربِ

فَبَدرٌ الأولى بإثرِ ناهبِ *** سرح المدينة مغذٍّ هاربِ

الشرح:

"فبدرٌ الأولى" و (الفاء)، إخوة الإيمان، نادراً ما استعملها الناظم في هذا النظم و قد يستعمل غيرها من حروف العطف كـ (الواو) و (ثمّ)، ولكنّه عندما يستعمل (الفاء) فإنّه إنّما يشير إلى الترتيب بإتّصال، أي أنّه بعد ذلك بقليل وقعت الغُزوة الموالية.

"ثمّ بواط خرجوا لعير" هذا ترتيبٌ بانفصال أي بعده بأيّام معتبرة، ولكن عندما يقول:" فَبَدرٌ الأولى بإثرِ ناهبِ " فإنّه إنّما يريد أن يقول إنّ بدراً الأولى كانت بعد غزوة العشيرة بقليل و هذه الغزوات كما سنرى كانت في زمن متقارب.

البيت:

فَبَدرٌ الأولى بإثرِ ناهبِ *** سرح المدينة مغذٍّ هاربِ

الشرح:

"ناهب سرح المدينة"، و "سرح المدينة" هي الحيوانات التي تخرج في السرح هي اللقاح، والناهب لهذا اللقاح هو كرز ابن جابر الفهريّ، وهو أحد الصحابة الكرام أسلم وحسن إسلامه وأرسله النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ في مطاردة العرنيّين الذين فتكوا بمولى النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ و مثّلوا به، بعدما أرادوا أن يأكلوا من لحوم الإبل ويشربوا من أبوالها كي ما يصحّوا و يسمنوا كما في صحيح البخاريّ و غيره، و كرز ابن جابر ـ رضي الله عنه ـ شهد فتح مكّة و قُتل فيه، في غزوة فتح مكّة لم يُقتل من المسلمين سوى اثنين كرز ابن جابر هذا و خنيس ابن خالد، فهما ممّن شذّ من المسلمين عن جيش خالد ابن الوليد، لمّا

التقى بعض المسلمين بالمشركين عند الخندمة فوقع قتال، كان قد شذّ كرز ابن جابر وصاحبه فقتلا ـ رضي الله عنهما ـ، كرز ابن جابر هذا كان ولمّا يزل على شركه قد أغار على سرح المدينة ونهبه، وأسرع في هروبه، "الهارب" هو الذي يفرّ و يجري و يسرع خوفا

، و "المغذّ" هو المسرع المتعجّل وهكذا كان يفعل كرز ابن جابر، فقام النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ وخرج في أثره في مائتين من أصحابه ففاته كرز ابن جابر وكان في قليل من المشركين و لم يدركهم النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ ولكنّه استنقذ اللقاح أي أنّه أنقذ لقاحه ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ وحيوانات المدينة، استنقذها النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ و ردّها، وكان النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ قد بلغ واديا يسمّى بوادي سفوان وهذا الوادي هو وادي بناحية بدر ومن هنا سمّيت هذه الغزوة بغزوة سفوان و تسمّى أيضا بغزوة بدر الأولى؛ لأنّ سفوانا قريب من بدر، وبدر سمّيت بذلك على اسم رجل من غفار يسمّى بدرا و كان قد حضرها فسمّيت باسمه.

الأبيات:

فَبَدرٌ الأولى بإثرِ ناهبِ *** سرح المدينة مغذٍّ هاربِ
كُرز بن جابر وبعدُ استنقذا *** لِقاحه ممن عليه استحوذا
فبدرٌ الكبرى لعير صخر *** آئبةً من شأمها بالكثر

الشرح:

بعد ذلك شرع النّاظم رحمه الله في التعرّض لغزوة بدر الكبرى وعقدها في أكثر من مائة بيت أو في قريب من ذلك؛ لما تحتوي هذه الغزوة عليه من الفوائد الجمّة ومن العلوم الغزيرة المفيدة، و لأنّها كانت أوّل واقعة حاسمة و فاصلة بين جيش الإيمان وبين جيش الكفر، فلذلك كانت هذه الغزوة ذات أهميّة، ولذلك نجد أنّ النّاظم ـ رحمه الله ـ أحسن في هذا المقام، فما كان من الغزوات يحتوي على علوم كثيرة يعطيه من العناية مالا يعطي لغيره، ولذلك فغزوة قرقرة الكدر لم يعطها سوى نصف بيت. قال:" فقرقرة الكدر لقوم عندها" فقط هذا هو الذي قال عن هذه الغزوة، وبعدها قرقرة الكدر لقوم عندها ".

ثمّة سرايا لم يتعرّض لها النّاظم كما ذكرنا لأنّه إنما اهتمّ بالغزوات، أوّل تلك السرايا هي سريّة حمزة ابن عبد المطلّب ـ رضي الله عنه ـ، وكانت في رمضان من السنة الأولى من هجرة النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ، وهذه الغزوة خرج على رأسها حمزة ابن عبد المطلّب عمّ النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ في ثلاثين من المهاجرين كانوا يريدون اعتراض عير لقريش و فاتتهم تلك العير ولم يقع قتال في هذه السريّة، و هذه السريّة فيها عقد رسول الله ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ أوّل لواء في الإسلام، ثمّ بعد ذلك وقعت سريّة عبيدة ابن الحارث ابن المطلّب وهو ابن عمّ النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ وهذه السريّة تسمّى بسريّة رابغ، ووقعت في شوّال من السنة الأولى لهجرة النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قبل ### في شوّال من هجرة النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وقعت هذه السريّة التي تعرف بسريّة رابغ و تسمّى أيضا بسريّة عبيدة ابن الحارث ابن عبد المطلّب، خرج في ستّين من المهاجرين خاصّة وكانوا يريدون عيراً لقريش ولم يقع أيضا

فيها قتال و إنّما اصطفّ الجيشان ووقع نوع من الرمي بالنبال ولكنّه لم يقع تلاقي بالسيوف وكان من بينهم سعد ابن أبي وقّاص ورمى سهمه وقيل إنّه هو أوّل من رمى سهماً في سبيل الله، ولذلك قال ## يقول فيها:
فلا يعتدّ رام من معدٍّ *** بسهم في سبيل الله قبلي
و هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة وأحد السابقين إلى الإسلام وفداه النبيّ - صلّى الله عليه و سلّم - بوالديه وهو مجاب الدعوة؛ لأنّ النبيّ- صلّى الله عليه و سلّم - دعا له بذلك، وشهد المشاهد مع النبيّ - صلّى الله عليه و سلّم -.
وبعد ذلك وقعت سريّة الخرّار وهي وقعت في ذي القعدة، وأرسل النبيّ - صلّى الله عليه و سلّم - على رأسها سعد ابن أبي وقّاص وكان يحمل اللواء المقداد ابن عمر، و المقداد ابن عمر هو و عتبة ابن غزوان كانا قد أسلما في سريّة رابغ، في سريّة عبيدة ابن الحارث ابن المطّلب لأنّهما خرجا مع المشركين لا يريدان الخروج معهم وإنّما أرادا لقاء المسلمين، فلمّا

التقى الجمعان التحق ذانك ## بأصحاب النبي - صلّى الله عليه و سلّم -، المقداد ابن الأسود وسميّ بعد ذلك بالمقداد ابن عمر؛ لأنّه كان ينسب إلى رجل هو الأسود ابن عبد يغوث كان قد تبناه، ولمّا نزل قوله سبحانه تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} [الأحزاب:5] كام يُنسب بعد ذلك لأبيه عمر.
وعتبة ابن غزوان أحد الفرسان المعروفين، فكان المقداد ابن عمر في سريّة سعد ابن أبي وقّاص في ذهابه إلى الخرّار يحمل لواء المسلمين، وكان في هذه السريّة عشرون من أصحاب النبيّ- صلّى الله عليه و سلّم - ولم يقع في هذه السريّة أيضاً قتال يذكر.
ثمّ بعد ذلك وقعت غزوة ودّان، ووقعت غزوة بواط، ووقعت غزوة العشيرة، ووقعت بعد ذلك غزوة سفوان، و العلماء أهل السيرة يختلفون في تحديد زمن هذه الغزوات و السرايا، و يختلفون أيضاً قليلاً في بعض ما يتعلّق بمن يخلّفه النبيّ - صلّى الله عليه و سلّم -، أو من يحمل الألوية وما إلى غير ذلك.
ثمّ بعد ذلك وقعت سريّة عظيمة، وهذه السريّة هي في الحقيقة أوّل بداية اللقاء والصدام الدامي بين المسلمين و المشركين، وهذه الوقعة هي وقعة نخلة، تسمّى بسريّة نخلة، وتسمّى بسريّة الأشهر الحرم، وتسمّى أيضاً بسريّة عبد الله ابن جحش، وهو ابن عمّة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أميمة بنت عبد المطّلب، أمّه، وهو أخو عبيد الله ابن جحش و زينب بنت جحش، وهي أمّنا أمّ المؤمنين - رضي الله عنها -، وهو أيضاً أحد الفرسان المعروفين وشهد المشاهد مع النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - وقُتل يوم أحد، قُتل مجدّع الأنف و الأذنين لأنّه سأل الله سبحانه و تعالى ذلك، فلقي فارسا من المشركين فجدّع أنفه وأذنيه كي ما يلقى الله سبحانه تعالى و يذكر إنّما ذلك ناله في سبيل الله فيقول له الله سبحانه وتعالى صدقت، وسنأتي على ذكر هذا عند قول الناظم في كلامه عن غزوة أحد:
كِلاَ المُجَدَّعِ وسعدِ المُفتدى *** سأل ربّ العرش منهم أسدا

أمَّا المُجَدَّعُ فللشهادهْ *** وسعْدٌ الفتْكَ به أرادَهْ
ونظم هاهنا معنى حديث سنأتي على ذكره بإذن الله سبحانه و تعالى.
هذه السريّة أمّر النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - فيها عبد الله بن جحش وكان مع

ثمانية أو على تسعة من المهاجرين، أمرهم أن يسيروا مسيرة يومين ثمّ ناوله كتابا، وقال له إذا ما سار يومين ونزل منزلا عليه أن يقرأ في ذلك الكتاب، فلمّا فتحه قرأ فيه أنّ عليه أن يسير حتّى يصل موضع نخلة بين مكّة والطائف، فيأخذ الأخبار عن المشركين و يأتي بها النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -، ولم يخبر أحداً من الصحابة الذين كانوا معه، ففعلوا ما أمرهم به النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -، و لمّا بلغوا ذلك المنزل فعلوا أمره - صلّى الله عليه وسلّم - فكان يومهم ذلك آخر أيّام الأشهر الحرم، فمرّت عيرٌ لقريش وكان عليها عمر ابن الحضرميّ ومعه نوفل وعبد الله ابنا المغيرة ومعهم الحكم ابن كيسان، فقال الصحابة بعدما تكلّموا في الأمر إنّهم في آخر يوم من الشهر الحرام فإن تركوهم فاتهم الأمر وإن هاجموهم انتهكوا حرمة الشهر الحرام، ول كنّهم أبوا إلّا أن يرميَ واقد ابن عبد الله التميمي عمر ابن الحضرميّ فأرداه صريعا قتيلا، و أسر المسلمون أولئك الصحابة الكرام نوفلاً و الحكم ابن كيسان و أمّا عبد الله ابن المغيرة فإنّه قد فرّ، ولمّا أتوا النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أخبر أنّه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام ولكنّ الأمر لم يقف عند ذلك الحدّ وإنّما تكلّم اليهود عن المسألة وكانوا يقولون " عمر ابن الحضرمي عمّر الحرب، وواقد ابن عبد الله أوقد الحرب" هكذا يحرّضون الناس على القتال، وهكذا كانوا يفعلون، فكان المشركون من قريش يقولون إنّ النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - و أصحابه يحلّون ما حرّم الله من القتال في الأشهر الحرم.

وبعد ذلك مكث النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - ينتظر نزول الوحي فنزل قول الله جلّ من قائل في ذكر ما يتعلّق بهذه السريّة وفي الجواب على سؤال من سأل عن القتال في الأشهر الحرم: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَ امِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة:217].

وبيّن الله سبحانه و تعالى هاهنا أنّ ما عليه المشركون من الصدّ عن سبيل الله ومن الإعراض عمّا جاء به نبيّ الله - صلّى الله عليه وسلّم - هو أعظم وأكبر وأشنع وأقبح من القتال في الشهر الحرام، ولذلك أنشد أبو بكر الصديق وقيل إنّه إنّما قال ذلك عبد الله ابن جحش - رضي الله عنه -:

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة *** وأعظم منه لو يرى الرشد راشدُ
صدودكمُ عما يقول محمدٌ *** وكفرٌ به والله راءٍ وشاهدُ
وإخراجكم من مسجد الله أهله *** لئلا يُرى لله في البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتله *** وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا *** بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وكان هؤلاء القوم يسألون النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - مرتبة المجاهدين وكانوا على رجاء شديد فنزل فيهم قوله سبحانه و تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُ وا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَائِكَ يَرْ جُونَ رَ حْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّ حِيمٌ} [البقرة:218]. فجعلهم الله سبحانه وتعالى في أعلى مقامات الرجاء، وهذه فضيلة عظيمة و منقبة جليلة لهؤلاء القوم، وهذه الوقعة هي أوّل وقعة وقعت بين المسلمين والكافرين، وكان عمرو ابن الحضرميّ أوّل قتيل يُقتل بعدما أُذن للنبيّ - صلّى الله عليه وسلّم- في القتال، وهكذا كان الأسيران أوّل أسيرين يقعا في أسر المسلمين، وقسّم عبد الله ابن جحش تلك الغنيمة التي كانت أوّل غنيمة

في الإسلام، وسُمّي أمير المؤمنين في تلك الغزوة فكان ـ رضي الله عنه ـ أوّل من سمّي بأمير المؤمنين، ولمّا قسّم الغنيمة قبل نزول قول الله سبحانه وتعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} [الأنفال:41] كان هو أوّل من خمّس الغنيمة ـ رضي الله عنه ـ،

وقد نظم هذه السريّة حمّاد ابن المين ـ رحمه الله ـ الذي شرح غزوات البدوي، و يقول في ذلك:
أوّل وقعة لنا في المشركين؟؟ ... سريّة ابن جحش ## المكين
ومعه فيها أبو حذيفة #####
و عتبة ابن مالك ####
إلى أن يقول:
"عكاشة وخالد وعامر *** وكلّهم من الذين هاجروا".
فكلّ هؤلاء القوم كانوا من المهاجرين و لم يكن أحداً منهم من الأنصار، هذا كلّه كان بعدما أُذن للنبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في القتال في قول الله جلّ من قائل: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِ هِمْ لَقَدِيرٌ {39} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِ هِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَ بُّنَا اللَّهُ} [الحجّ: 39، 40]. فأُذن للنبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بالقتال بعدما كان محرّماً في قوله سبحانه و تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [النّساء: 77]، فقد قيل لهم كفّوا أيديكم من قبل، فلا شكّ أنّ امتثال أمر الله سبحانه وتعالى واجب، ثمّ أُذن لهم في القتال، ثمّ أُمروا به فأصبح القتال واجبا، لمّا أُمروا به في قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة: 73] وهذه الآية هي أوّل آية نزلت على النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ في الأمر بالقتال وفي بيان وجوبه.
وكان النّاس مع النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ آنذاك أعني غير المسلمين، الكافرون كانوا إمّا في عهد وصلح مع النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ فهؤلاء تحرم دماؤهم و تحرم أموالهم، أو في حرب فهؤلاء كان النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ يقاتلهم و يعاديهم، أو لم يكونوا

معه في حرب ولم يكونوا أيضا معه في سلم، ثمّة أقوام لم يكونوا معه في حرب ولم يكونوا معه أيضاً في صلح ولا هدنه، وهؤلاء منهم أناس كانوا يحبذون في باطنهم أن ينتصر النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ وأصحابه كما كان من بعض النّاس في مكّة، وإمّا أن يكونوا ممّن يُظهر الإسلام ولا يظهرون عداوتهم للنبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ وليسوا معه في صلح بطبيعة الحال لأنّهم يظهرون الإسلام ولكنّهم يضمرون في بواطنهم معاداة للنبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ وأصحابه، وهؤلاء هم المنافقون، وقد أُمر النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ بالجهاد على مراحل، فأُمر أوّل ما أُمر بأن يقاتل من يقاتله كما في قوله سبحانه وتعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة:190]، و أُمر بعد ذلك بقتال من يليه من الكفّار كما في قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} [التوبة:123]، ثمّ بعد ذلك أمر بقتال المشركين كافّة كما في قوله سبحانه

و تعالى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِ كِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة:36]، وبدأت الآيات تترا على النبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ فيما عُرف عند العلماء بآيات السيف، فنزل قوله سبحانه وتعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّ مُونَ مَا حَرَّ مَ اللَّهُ وَرَ سُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُ ونَ} [التوبة:29]، ونزل قوله سبحانه وتعالى: {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُ مُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِ كِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُ وهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْ صَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة:5] إلى غير ذلك من الآيات، ونزل قوله سبحانه وتعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال: 39]، ومن المعلوم عند أهل التحقيق من العلماء أنّ العبرة إنّما هي في كمال الدّين لا بالمراحل التي مرّت بها دعوة النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أو مرّ بها قتاله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، فإنّ من المعلوم أنّ دعوته مرّت بمراحل فمكث النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثلاثة أعوام في مكّة يدعو سرّاً، يدعو عشيرته الأقربين سرّاً، ثمّ بعد ذلك بدأ

النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يدعو جهاراً ثمّ عند مطلع العام العاشر من بعثته بدأ النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يدعو خارج مكّة، لما ذهب إلى الطائف وإلى غيرها يدعو إلى الله، وقتاله أيضاً مرّ بالمراحل التي ذكرنا، ولكنّه بعد كلّ ذلك نزل قوله جلّ من قائل: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَ ضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3] فصارت العبرة بكمال الدين لا بتلك المراحل التي مرّت، وهكذا فإنّه أيضاً سنجد ما يتعلّق بالقتال من أحكام، وما يتعلّق أيضاً بالدعوة قبل القتال من أحكام، فنجد إن شاء الله سبحانه و تعالى من خلال هذا النظم أحكام الجهاد ومايتعلّق بتعيّنه أو عدم تعيّنه، وما يتعلّق أيضاً بالإيمان، وما يتعلّق بالغنيمة، وما يتعلّق بالفيء، وما يتعلّق بالنفل، وما يتعلّق بالسرايا، وما يتعلّق بفنون الحرب والقتال من خلال هدي النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، وسنجد بإذن الله سبحانه وتعالى الكثير والكثير من مناقب الصحابة الكرام ومن فضائلهم وخيرهم العميم، وكلّ ذلك مبيّنٌ في موضعه من هذا النظم بإذن الله سبحانه وتعالى. وإلى هنا نقف وحبّذا لو وُجد من منكم من يحفظ هذا النظم و يحاول حفظه؛ لأنّ فيه إضافة إلى كونه نظماً سلسا فيه أيضا فوائد مهمّة، بعضها يتعلّق باللغة من حيث النحو والصرف، وبعضها أيضاً يتعلّق بالبديع والفصاحة والبيان، وبعضها أيضاً يتعلّق بالتاريخ والسيرة والأنساب، وهذا هو الموضوع الذي سنتحدّث عنه إن شاء الله سبحانه و تعالى، وعندما تكون ثمّة أسئلة فالمحبّذ أيضاً أن تكون الأسئلة في الموضوع قبل كلّ شيئ.
ثمّ إذا ما لم يكن بدّ من جعل الأسئلة في موضوع آخر فنجعلها كذلك، ولكنّ المقدّم هو أن نسأل عمّا يتعلّق بالموضوع؛ لأنّ في ذلك إثراءاً لهذا الدرس وفيه أيضاً تنبيه لما قد يفوت، وفيه الكثير من الفوائد بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن كان منكم سائلا أو متدخّلا أو ملاحظا أو معقّبا أو مستشكلا فليتفضّل مشكورا.
السائل:

ما مدى صحّة قول علي ابن أبي طالب:"إنّ النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - بعث بأربعة أسياف: بسيف على المشركين، وبسيف على أهل الكتاب {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّ مُونَ مَا حَرَّ مَ اللَّهُ وَرَ سُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [التوبة:29]، وبسيف على المنافقين {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة:73]، وبسيف على البغاة {فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَ ى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات:9]."

####

الشيخ:

"لا أتذكّر صحّته ولكنّه معروفٌ مشهور ذكره ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره، وأورده أيضاً ابن جرير و ابن أبي حاتم وغيرهم عن عليّ ابن أبي طالب، وقد يكون مقبولاً مرضيّا لتلقّي هؤلاء العلماء له ولكنّني لا أتذكّر صحّته.

قال ما مدى صحّة القول، قول عليّ - رضي الله عنه -:" إنّ النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - بُعث بأربعة أسياف: بسيف على المشركين، وبسيف على أهل الكتاب، وبسيف على المنافقين، وبسيف على البغاة ".

هذه الأسياف الأربعة كلّها مذكور في القرآن، السيف على المشركين في قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِ كِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} [التوبة:5]، والسيف على أهل الكتاب في قوله سبحانه وتعالى {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة:29] إلى آخر الآية، و بسيف على المنافقين في قوله سبحانه و تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة:73]، وبسيف على البغاة في قوله سبحانه وتعالى: {فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَ ى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات:9]، هذا الحديث ذكره ابن كثير في تفسيره وذكره غير واحد من المفسّرين ولا أتذكّر سنده ولا الكلام فيه أصحيح هو أم

غير صحيح، ولكنّ تلقّي العلماء له بالقبول وسكوتهم أيضاً عليه يدلّ على قبوله والله سبحانه وتعالى أعلم".

السائل:

###############

الشيخ:" نعم، من المعلوم أنّ المسلمين لم يكونوا هم البادئين بالقتال، أوّلا القتال أُذن للنبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - فيه بأسباب ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِ هِمْ لَقَدِيرٌ} [الحجّ:39]، فذكر لنا بعض جوانب هذا الظلم: {الَّذِينَ أُخْرِ جُوا مِن دِيَارِ هِم بِغَيْرِ حَقّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَ بُّنَا اللَّهُ} [الحجّ: 40]، ثمّ إنّهم مع ذلك هم البادؤون أوّل مرّة كما قال الله سبحانه وتعالى: {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَ اج الرَّ سُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّ ةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [التوبة:13]، فأوّلاً لمّا بدأ الكفّار المسلمين لا شكّ أنّ المُعتدَى عليه له الحق في أن يدافع عن نفسه وأن يقاتل ذلك المعتدِي، ثمّ إنهم هم المظلومون ولا شكّ أنّ أي مظلومٍ له الحقّ في أن يقاتل من ظلمه، ناهيك أنّه بعد ذلك بيّن القرآن أمراً آخر يستحقّ عليه أولئك الكافرون القتل ألا وهو الشرك و ماهو عليه نسأل الله السلامة والعافية، من جرم الإلحاد وقذارة الكفر، نسأل الله السلامة والعافية، فلمّا كانوا كذلك فهذا أيضاً استحقّ أن يُقاتَلوا، فكان السبب الذي جعل المسلمين

يخرجوا إلى العير هو من هذا القبيل، ولمّا كانوا كافرين كانت أموالهم مباحة وحلالاً وهكذا أعراضهم وهكذا أيضاً أنفسهم وأرواحهم، والنبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - نجد أنّه كان مهتمّاً بهذا الأمر إلى حدّ كبير؛ لأنّه نجد أنّه في الأشهر الأولى وقعت سرايا كثيرة، وغزوات كثيرة، وهذا يدلّ على أهميّة الطلب في الإسلام وعلى أهميّة الغزو أيضاً فيه وعلى أهميّة الجهاد في سبيل الله بصفة عامّة، خلافا لما يقال اليوم لأنّ الكثير من المناظرين خصوصا في وسائل الإعلام يقولون إنّه لا يوجد في

الإسلام سوى جهاد الدفع أمّا جهاد الطلب فلا وجود له هكذا يقولون، ومن المعلوم أنّه لا ينبغي أن نتكلّم عن هذا الأمر خصوصاً في هذا الزمان لأنّ المسلمين في جهاد الدفع، فإنّهم قد حلّ بهم من الويلات والنكبات مالا يمكن تصوّره فهم يدفعون العدوّ عنهم وعن دينهم وعن أعراضهم وعن شعائرهم و عن حرماتهم وما إلى غير ذلك.
مع ذلك فجهاد الطلب بيّنٌ في كتاب الله و في سنّة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - و كذلك أيضاً باتفاق وإجماع أهل العلم، فمن قال إنّ جهاد الطلب ليس في دين الله و أنكره فإنّه ليس مسلماً بل هو كافر نسأل الله السلامة والعافية، فهو كمن يقول أن الصلاة لا توجد و أنّ الصوم لا أصل له،
" ومنكر الحكم الذي قد عُلم *** ضرورة فكفره قد حسم "
كلّ من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة فإنّه لا يعتبر مسلماً نسأل الله السلامة والعافية ولم يختلف العلماء في ذلك، فلذلك النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - خرج إلى عير قريش طلباً، ولا يعتبر ذلك ظلما لأنّ الكافرين يستحقّون ذلك بسبب كفرهم، أمّا في زمن النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - فإنّهم أضافوا إلى ذلك أسباباً أخرى هي إخراجهم للنبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - و إخراجهم للمسلمين و انتهاكهم لحرماتهم وما إلى غير ذلك، وهذه الأسباب كلّها أيضاً هي متوفّرة وموجودة في هذا الزمان.
السائل:
########
الشيخ:
" هذا بإذن الله سبحانه وتعالى سنؤجّله عندما نتكلّم عن غزوة بدر وعن استشارة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - للأنصار لأنّه من المعلوم أنّه تكلّم له أفراد من المهاجرين، تكلّم أبو

بكر فقال وأحسن، وتكلّم عمر فقال وأحسن، وتكلّم المقداد ابن عمر فقال وأحسن، وكلّ هؤلاء من المهاجرين، فقال:" أشيروا عليّ " فقال سعد ابن معاذ:" كأنّك تعنينا يا رسول الله "، فهو إنّما يعني الأنصار لما؟ لأنّه إنّما بايعه الأنصار على القتال دونه – صلّى الله عليه وسلّم - مادام معهم في مدينتهم أمّا في خروجهم في غير مدينته – صلّى الله عليه وسلّم - فلم يكن ذلك مقرّراً عندهم، مع أنّهم حين امتحنهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - وجدهم مستعدّين لبذل أنفسهم وأموالهم للصدّ عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، يعني لصدّ الأعداء عن الوقوع في النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، وهذا سنتكلّم عنه إن شاء الله سبحانه وتعالى

عندما نتطرّق لذلك، ولذلك سنجد أنّ هذه السرايا والغزوات في الغالب ينصّ المحدّثون و العلماء من أهل السيرة أنّه إنّما خرج فيها المهاجرون خاصّة، لما؟ لأنّ البيعة ليلة العقبة لم تكن على القتال دون النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - ومعه خارج المدينة، ولكنّه في يوم بدر سيمتحنهم ونجد ما قال الصحابة هناك للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - بإذن الله ".

السائل:

##########

الشيخ:

" لا أتذكّر أنّه إنّما زارها في هذا العام، لا أتذكّر ذلك وخصوصا أهل السيرة لا يذكرون ذلك هاهنا، و إنّما هو في بعض الغزوات قد نأتي عليها إن شاء الله علّها في غزوة الغابة أو في غيرها، وعلى كلّ حال سأتذكّرها بإذن لله سبحانه وتعالى، وهي صحيحة في صحيح البخاري أنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - استأذن الله سبحانه وتعالى في أن يستغفر لأمّه فلم يأذن له، واستأذنه في أن يزورها فأذن له".

السائل:

##########

الشيخ:

" نعم من المعلوم عند الأصوليّين أنّ الحكم يدور مع العلّة حيث دار وهذا يكون مطبّقا أكثر ما يكون خصوصا فيما يتعلّق بمسائل الاجتهاد، ولكنّ الواجب هو الانصياع لما قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - وعمله و الأخذ بما كان مؤثّراً أكثر في الكافرين، مثلاً أعطيك مثالا مهمّا على هذه المسألة، من المعلوم أنّ عمر ابن الخطّاب – رضي الله عنه - كما في صحيح البخاري من حديث زيد ابن أسلم عن أبيه أنّ عمر ابن الخطّاب – رضي الله عنه - قبّل الحجر الأسود وقال:" والله إنّي لأعلم أنّك حجر لا تنفع ولا تضرّ، ولولا أنّي رأيت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم - يقبّلك ما قبلتك"، فهنا قبّل الحجر الأسود بمجرّد أنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - قبّله ولم يعرف العلّة، اتّبع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - ولم يعرف علّة التقبيل، إنّما علم أنّه لا ينفع ولا يضرّ ولم يعرف لما قبّله النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - ولم يبحث عن التعليل اللهم إلّا ضمناً، و لكنّه قبّله.

نجد أيضا في سنن أبي داوود وأصل الحديث في صحيح البخاري أنّ عمر ابن الخطّاب – رضي الله عنه - قال:" فيم الرملان والكشف عن المناكب، وقد أطّأ الله الإسلام و أعزّ أهله "، ومن المعلوم أنّ الرملان وهو الإسراع و الكشف عن المناكب إنّما أمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - به الصحابه لإظهار أنّ بالمسلمين قوّة ليظهر للمشركين أنّ المسلمين أقوياء؛ لأنّ المشركين لمّا رأوا المسلمين آنذاك قالوا إنّهم قد أصابتهم حمّى يثرب، فقال عمر ابن الخطّاب:" لما الرملان و الكشف عن المناكب وقد أطّأ الله الإسلام وأعزّ أهله "، ثمّ قال:" ولكنّنا لا نترك شيئاً كنّا نفعله على عهد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم - ".

فهنا عرف العلّة ولم يهتمّ بها إنّما فعل ما كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يفعله، وهناك لم يعرف

العلّة ولم يبحث عنها وفعل عين ما فعله النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، نحن أيضا هنا قد نعرف العلّة و قد نعلم أنّ أولئك المشركين الذين هم في عهد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - و كما قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -:" إنّه لأشدّ على قلوبهم من وقع النبل "، لأنّهم يفهمون هذه اللغة، كانوا أهل فصاحة وأهل بلاغة وأهل جزالة ألفاظ وحسن تعبير، ومع ذلك في هذا الزمان قد نجد أنّه إذا ما قلت قصيدة عصماء تهجو فيها بعض أباطرة الكفر في هذا الزمان، قد لا يفهم منها شيئا وقد لا تؤثّر أبداً على قلبه ولكن ذلك لا يمنعنا أبداً من فعل ما كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - يأمر الصحابة بفعله، قد يفهمه بعض المرتدّين وبعض المستشرقين الذين لكثيراً ما كانوا أعرف باللغة من كثير من أدعياء العربيّة.
وهكذا أيضا سيظهر دعاة هم على أبواب جهنّم هم من بني جلدتنا و يتكلّمون بألسنتنا، هذا أيضا لا يمنعنا أن نقول القصائد في هجاء أعداء الدين، لا أقلّ إذا لم يكن هؤلاء قد ظهروا من أن ## عليها الناس، فإذا ما ظهر أولئك قرأوها و أضرّتهم وأثرت على قلوبهم، فالواجب اتّباع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - في هذه الأمور ولكن الواجب قبل هذا وذاك، فعل ماهو أكثر تأثيرا، فالأكثر تأثيرا في هذا الزمان معلوم و يفعله المسلمون ولله الحمد والمنّة من ذبحهم و تقتيلهم وتشريدهم و سفك دمائهم وما إلى غير ذلك، هذا هو الذي يرهبهم، ولذلك عندما يتكلّم صغيرٌ من المسلمين ولكنّه مستعدّ للانفجار يخافون وتتناقل وسائل الإعلام ذلك، ولكن عندما يقول أبلغ المسلمين قصيدة فإنّهم لا يحرّكون لذلك ساكناً ولا يكادون يبالون ولكن هذا لا يمنعنا بالأخذ بهذا و من الأخذ بذاك وإن كان الواجب العمل بالأولى.
السائل:
######
الشيخ:

" من المعلوم وقد قرّرنا ذلك أنّ الأعداء مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - كانوا على هذه الأحوال إمّا معاهدون ومعاهَدون فهؤلاء تحرم أموالهم وأنفسهم، أو محاربون فهؤلاء تحلّ أموالهم وأنفسهم، أو آخرون ليسوا محاربين وليسوا مسالمين، لم يعطيهم للمسلمين عهدا ولم يعطوا هم للمسلمين عهدا ومع ذلك لا يقاتلوننا، فهؤلاء كانوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم - على صنفين: بعضهم يحبّون انتصار المسلمين في الباطن ولكن لا يستطيعون إظهار ذلك بسبب أقوامهم، وبعضهم مع المسلمين ويعيشون بينهم ويصلون معهم و يفعلون معهم الشعائر ولكنّهم في الباطن يحبّون انكسار المسلمين وهزيمتهم وهؤلاء هم المنافقون، ولذلك لا بدّ من تقرير مسألة هي أنّ المسلم من باب أولى حرام الدم وحرام العرض وحرام المال، هذا هو الأصل المتيقّن فإذا ما رأينا أحدهم يقول أنّ مجاهدا في سبيل الله قتل مسلما فالأمر لا يعدو مسألتين أو ثلاثاً على الأقل، إمّا أن نقول أنّ هذا القول ليس حقّا لأنّ المتقرّر في الجهاد أنّ الجهاد لا يستهدف المسلمين، أو أن نقول إنّ هذا المجاهد لم يقتل ذلك المسلم وإنّما قتل الكافر، فالذي قيل إنّه مسلم ليس هو مسلماً في الحقيقة وإنّما سمّاه هذا الشخص مسلماً لحاجة في نفسه، أو نقول أنّ هذا المسلم أخطأ من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر، فثمّة أمور كثيرة خصوصاً في هذا الزمان لا بدّ من وضعها في الحسبان،

أوّلها: ما يتعلّق بوسائل الإعلام،
ثانيها: ما يتعلّق بضرورة حسن الظنّ بالمسلمين الذي يجاهدون في سبيل الله،
ثالثها: لا بدّ من ضرورة إساءة الظنّ بأعداء الدين، فكلّ ما هو آت من عند أعداء الدين فإنّا علينا أن نردّه، وكلّ ماهو آت من عند المسلمين الأخيار الأحبّة فإنّا علينا أن نحسن الظنّ به، أمّا وسائل الإعلام فلا أقلّ من أن نتوقّف في أمرها حتّى نكون على يقين بعد ذلك من الحكم الذي سنصدره جراء كلامنا عن تلك المسألة التي نقلت لنا وسائل الإعلام ".
السائل:

#########
الشيخ:
" نعم هذا تماما لا بدّ من النظر فيه، فهذه الدول كلّها أوّلا لا بدّ من منطلق ### وقلب صاف لا يتعلّق ولا يتأثّر لا بوسائل الإعلام ولا بمن يتكلّم بإسم وسائل الإعلام ولا بعاطفة تنتج جرّاء ما يراه من المجتمع وغيره، ما يقع من هذه البلدان التي ذكرت أولا علينا أن ندرك أنّ في هذه البلدان أناساً نسأل الله الهداية والرشاد يظلمون و بطشون ويقتلون المسلمين بغير حق".
فعندما أقول لك مثلاً، إنّه في المملكة العربيّة السعوديّة، وهي الّتي يحجّ النّاس إليها بالملايين في كلّ سنة، يتابعون شابّا لمجرّد أنّه أراد أن ينصر دين الله سبحانه وتعالى، فمثلا ثمّة شابّ كان لا يفهم الكثير من الأمور و تخرّج من الجامعة، وعُيّن مكان إمام غاب واختفى ولم يدر النّاس إلى أين ذهب، عُيّن مكانه إماما، وبعد مضيّ ثلاثة أشهر قامت المخابرات واعتقلته وأمضى شهرين عندهم، و تسأله عن سبب اختفاء ذلك الإمام التي توصّلت المخابرات من خلال معلوماتها أنّه يوجد في العراق يقاتل الأمريكان، فعذّبوه وعذّبوه و أهانوه لمدّة شهرين أو أكثر ثمّ بعد ذلك أطلقوا سراحه، فما الّذي تتصوّر من هذا الشخص، لا سيّما إذا ما كانت ثمّة قصص أخرى أكثر إيلاما، أحدهم تابعوه وأرادوا اعتقاله لما؟ لأنّهم كانوا قد قبضوا عليه من قبل وعذّبوه و مثّلوا به أشدّ تنكيل، فأتوا بعدّتهم و عتادهم، و أصبحوا يطاردوه في كلّ مكان، ماالّذي فعل هذا الشخص؟ تسلّح هو الآخر و قال إنّ كلّ من أراد أن يقترب منه فإنّه سيقاتله، فما الّذي يمكننا أن نقول عن هؤلاء فالله حرّم القتال في المسجد الحرام، فقال: {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَ امِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِ ينَ} [البقرة: 191] فكذلك هؤلاء حتّى وإن افترضنا جدلاً أنّهم مسلمون، إن افترضنا ذلك جدلا، فالمسلم عندما يأتي ليقتلك فإنّه اتّفق

العلماء على أنّ دفع الصائل ليس من قبيل قتل المسلم، هذا المسلم الذي يصول عليك و يريد قتلك فإذا ما دفعته وقتلته لا تعتبر قاتلاً للنفس ولا إرهابيّا ولا مجرماً ولا شيئا من ذلك القبيل كما يسمونه، وإن كنت ترهب الأعداء فلا بأس، وعلى كلّ حال فإنّك فعلت ما أمرك الله به وإن قتلك فإنّك شهيد كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله ابن عمر ابن العاص، هذا يسمّى بدفع الصائل، فالّذين يوجدون في هذه البلدان لا ينبغي أن ####، هؤلاء جند ومخابرات وكتل مكوّنة وعندها من الآلات والأدوات ما لا يمكن تصوّره، ومن السهل عليها أن تقول أنّ هذا قبض

عليه في المقهى الفلاني للأنترنت و بحوزته متفجّرات وكان يريد أن يفجّر تلك المدرسة أو ذلك المقهى، هذا من السهل ولكن لا بدّ من التعقّل، ما الدّافع الذي جعل هذا يفجّر هؤلاء، ولذلك دائما يقولون إنّ المسلمين يقتلون المسلمين وهذا ممّا لا ينبغي قوله، فالذين يوجدون في السعوديّة وقد خبت نارهم إلى حدّ ما خصوصا في هذا الزمان، ما الواقع؟ الواقع أنّهم يقال أنّهم يقتلون المسلمين ولكنّك عندما تستمع إلى كلام أحدهم تراه يبكي ويخشع ويقول:" نحن كيف نقتل المسلمين، ومن السهل علينا أن يفخّخ الواحد منّا نفسه وأن يلبس من المتفجّرات ما شاء وأن يذهب إلى بيت الله الحرام و يتفجّر "، هذا من السهل عليه ولكن هل سمعتم في يوم من الأيّام أنّ أحد هؤلاء تفجّر على المسلمين في بيت الله الحرام ولا شكّ أنّه سيحصد أنفسا كثيرة وأرواحا أكثر، لكنّهم لا يفعلون ذلك لأنّهم في الأصل لا يريدون قتال المسلمين، ولكن ما المسألة؟ المسألة هي تلك الأنظمة الفاسدة نسأل الله السلامة والعافية، المخابرات الباطلة هي التي تضرب، ولذلك نحن لا نعرف كثيرا من تلك الحقائق، نعرف جنودا يتابعون شبابا، تارة هؤلاء يقتلون أحد هؤلاء، وتارة أحد هؤلاء يقتل أولئك، والحقيقة الباقية هي أنّنا نعرف أنّ الجهاد لا يستهدف المسلمين، بل لا يستهدف نساء الكافرين ولا الصغار من الكافرين، فالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - نهى عن قتل نساء ونهى عن قتل الصبيان، ثمّة استثناءات سنأتي على ذكرها بإذن الله سبحانه وتعالى، ولكن عندما ننظر في وسيلة إعلاميّة فتقول لنا:" انظروا إلى هؤلاء، هذا

أراد أن يتفجّر في السوق، وهذا أراد أن يقتل هؤلاء " لا ينبغي أن نصدّق هذا لأنّه من السذاجة أن نقبل كلّ ما يأتينا من قبل أولئك وهم الذين يظلمون ويبطشون ويفعلون بالمسلمين الأفاعيل ".

السائل:

#######

الشيخ:

" نحن الآن نتكلّم عن الّذين ينفّذون ذلك العمل، هل الّذي يقومون به هو من باب قتل المسلمين؟ قلت إنّ المعلومة التي تأتي إنّما تأتي من قبل وسائل الإعلام، أمّا المتقرّر فمن المعلوم أنّ كلّ حاكم لا يحكم بما أنزل الله فإنّه يعتبر قد حكّم الطاغوت وكلّ من حكّم الطاغوت فهو كافر، وكلّ من دخل تحت شعاره أو دافع عنه فإنّه مقاتلٌ في سبيل الطاغوت وهذا سنأتي إلى مزيد بيان، فالّذين يقاتلون المسلمين ويقاتلون دفاعاً عن الشرائع التي ليست هي شرائع أنزلها الله سبحانه و تعالى فلا خلاف في تكفيرهم نسأل الله السلامة و العافية، هذا مبحث ولكن الذي نتكلّم عنه هنا إنّما هو من باب الجهاد، فالذين يجاهدون هل يُشرع لهم أن يقتلوا بعض المسلمين، لا، نقول لا، وإذا ما جاءنا أنّهم قد قتلوا المسلمين وهذا قد نراه، قد نرى في وسائل الإعلام شيخاً ذا لحية و نرى صبيّا قتيلاً، ونرى أمّاً مسلمةً تبكي وتقول:" لاإله إلّا الله " و الدماء تسيل عليها و تشكو إلى الله وتقول إنّ هؤلاء قد قتلوا أولادها و قد قتلوا زوجها، فما الذي نقول؟ نقول لا فالمجاهدين في سبيل الله لا يقتلون المسلمين، و الذين يأتون بهذه الأخبار هم أهل مخابرات، هم أهل ظلم لا يُصدَّقون أصلاً، أضف إلى ذلك أنّهم إمّا أن يكونوا قد أخطؤوا، و إمّا أن يكون أولئك الذين رأينا ليسوا مسلمين، لأنّ هذا أيضاً لكثيراً ما يحدث، فقد

يكون المرء موالياً لأعداء الله ومع ذلك يظنّ البعض أنّه من المسلمين بسبب صلاته أو صيامه أو ما إلى غير ذلك ".

السائل:

##################

الشيخ:

" هذا حديث صحيح رواه مسلم وغيره، هذا مبحث، عندما نتكلّم إن شاء الله سبحانه وتعالى عن موضع ما يتعلّق بالإمارة و الّذين كان يؤمّرهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، سنتكلّم عمّا يتعلّق بالإمامة وعن أحكام ولاة الأمر وما إلى غير ذلك، فهذا مبحث الذي سأل عنه الأخ هو ما يتعلّق بالمسلمين الذين يُقال إنّهم إنما يقتلون المسلمين، والذي تتكلّم أنت عنهم هو قتال الذين لا يحكّمون شرع الله - سبحانه وتعالى - فأولئك لا شكّ يجب الاعتذار عن كلّ من رفع راية الجهاد في سبيل الله، فهؤلاء قالوا إنّهم مجاهدون في سبيل الله ومقاتلون لإقامة دين الله، وأولئك لم يقولوها بل قالوا إنهم إن كانوا قالوا ذلك يقاتلون لأجل القانون و لأجل الديمقراطية أو ما إلى غير ذلك، المهم إنه إن كان لا بدّ من الأخذ بأحد القولين نأخذ بقول من أخذ دين الله سبحانه وتعالى شعاراً وقال إنّه يجاهد في سبيل الله، أمّا أنت تتكلّم عن ضرورة قتال كلّ من يكفر بالله سبحانه و تعالى، وهذا باب، وقد قلنا انّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - نزلت عليه آيات السيف، ومن هنا سنجد بإذن الله سبحانه وتعالى مستقبلا أنّه لا توجد فائدة كبيرة من دراسة ما يتعلّق بدار الكفر ودار الحرب، لأنّ الكافر أيّاً كان مباح الدم و مباح المال كما قلت، كلّ كافر فإنّه مباح الدم ومباح المال سواءً كان في دار كفر أو كان في دار إسلام، كلّ كافر {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} [التوبة: 5] سواء أن كان ذلك في دار كفر أو في دار إسلام إلا باستثناء من ذكرنا، فالنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - وادع البعض وعاهد البعض، فمن كان عنده أمان من إمام مسلم فله ذلك ولا ينبغي قتاله، ومن كان عنده صلحٌ مع المسلمين فهو كذلك، من كان رسولاً

أيضاً من الكافرين إلى المسلمين هذا مأمّن، من أجرته أنت أيضاً لا نقتله لأنّه أجاره مسلم، وكلّ هذا في مخالفته من الوعيد الشديد ما لا يمكن تصوّره ولذلك عند البخاري وغيره أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - قال:" من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنّة"، فلذلك أيضاً عندما يقتل المرء معاهداً أو صاحب أمان فإنّه يحمل يوم القيامة لواء الغدر نسأل الله السلامة والعافية كما في الحديث الصحيح، فهؤلاء فقط هم الذين ###، أمّا الآخرون الذين ليس لهم أمان ولا عهد ولا صلح فإنّهم يُقاتلون سواءً كانوا في بلاد كفر أو بلاد الإيمان، بشرط واحد هو أن تكون الدعوة قد بلغته ".

السائل:

##################

الشيخ:

" على كلّ حال، الغزل من المعلوم أنّ الغزل هو ذكر محاسن النّساء، هذا هو الغزل، ذكر محاسن النساء بالشعر هو الغزل، ولا ينبغي للمرء أن يذكر محاسن امرأة زوجها مثلا حيّ، أو يذكر محاسن امرأة في ### معلومة يمكن أن تجرّ إلى الفضيحة أو إلى الفتن أو إلى ما غير ذلك، ففلان مثلا عندما تكون له زوجة تُسمى فلانة، إذا ما قام شاعرٌ ماجن وقال عليها قصيدة فلا ينبغي أن تردّد أنت تلك القصيدة؛ لأنّ فعله ذلك فعل سيّئ ومحرّم، وترددك

أنت للفعل السيّء المحرّم هو فعل أيضاً محرّم سيّءٌ نسأل الله السلامة و العافية، أمّا ذكر ما مضى وما فات أو المسائل الوهميّة التي يتخيّلها كثير من النّاس، يذكرون سلمى و ليلى، يذكرون شاعرا يبكي على ليلى و يشتاق لسلمى وما عرف سلمى وما رأى ليلى ولا يعرف عنهما شيئاً إطلاقاً فهذا يُدرس ويُتعلّم على قدر الحاجة، فإن كان فيه ما هو معين و مفيد على اللغة وحسن التعبير وسلاسة الألفاظ وروعة الأساليب وما إلى غير ذلك فحسنٌ جميل، وإن كان المرء يتعلّمه لا لذلك وإنّما ليعمّر به مجالس العشق والغرام فتعلّمه لذلك هو أمرٌ حرام نسأل الله السلامة و العافية، وعلى كلّ حال فقد صحّ عند البخاري وعند غيره أنّ عمر بن الخطّاب مرّ على حسّان بن ثابت – رضي الله عنه - وهو ينشد الشعر في المسجد فرأى عليه ذلك، أي أنّه لاحظ ذلك الأمر، فقام حسّان بن ثابت وقال لعمر:" لقد أنشدته وفيه من هو خير منك " يعني بذلك النبي – صلّى الله عليه وسلّم -، و قصّة كعب ابن زهير ضعيفة لا تصحّ؛ أنّه أنشد للنبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - في المسجد بين يديه:
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيّم إثرها لم يُفدَ مكبول
" هذه ضعيفة "
السائل:
#######
الشيخ:
"نعم، قالوا:"ألا نقاتلهم" فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم -:"لا، ما أقاموا فيكم الصلاة" وفي رواية "ما صلّوا"، والحديث رواه مسلم وغيره، ولكن أهل العلم قاطبة يحملونه على إقامة الدّين، وعلى أنّ هؤلاء الأئمّة ما داموا يقيمون الصلاة أي ماداموا مسلمين فلا ينبغي الخروج عليهم، ولكنّ الكفر يأتي من طرق شتّى نسأل الله السلامة

والعافية، ثمّة نواقض لكلمة التوحيد، تارة تكون بالشكّ وتارة تكون بالجهل وتارة تكون بالقول وتارة تكون بالعمل وقد بوّب لها العلماء قاطبة في كتب الردّة، والإمام - نسأل الله السلامة و العافية - قد يكفر قد يبقى على صلاته، وعندما يقف على الناس يسبّ الله و يسبّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - هذا كفر و مع ذلك يجب الخروج عليه، و العلماء قاطبة يذكرون ذلك، ولذلك عبد القادر محمد بن محمد سالم المجلسي – رحمه الله - في كتابه في العقيدة (الواضح المبيين في أشرف العلوم أصل الدين) يقول:
وحيث ما الإمام نفسه عزل *** لعجزه عن التولّي ينعزل

وحيث لم يعجز فلا انعزال * واعزله حيث العقل عنه زال**
واعزله بالكفر بربّ العالمين * بترك الصلاة باتفاق المسلمين**
أي يعزله بالكفر بربّ العالمين ثمّ قال " بترك الصلاة "
فثمّة كفر هو ليس من قبيل ترك الصلاة فلا يعزل به وترك الصلاة أيضا هي ممّا يعزل به ".
السائل:
#######
الشيخ:
"لا أعرف أنّه كان يصلّي #### ومسيلمة على كلّ حال كان يقول:" لا إله إلّا الله" و يشهد أيضا أنّ محمّداً رسول الله ولكنّه يقول أنّ له هو الآخر حظّا من تلك الرسالة، و أصحابه لم يمنعهم قولهم: أن " لا إله إلّا الله"، ولم تمنعهم صلاته من أن يقاتلهم أصحاب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – بالإتفاق "
السائل:

##########
الشيخ:
" عثمان بن عفّان، لا لم يشهد بدراً - رضي الله عنه - وسنأتي على ذكر ذلك، هو من ضمن ثمانية تخلّفوا عن بدر لأنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - كلّفهم ببعض المهمّات، سنأتي على ذكر ذلك عندما نتكلّم عن غزوة بدر:
في الأجر والمغنم قسَّم النبي * لنفرٍ عن الزحاف غُيب**
هؤلاء النفر منهم عثمان ابن عفّان سنتكلّم عنه إن شاء الله
السائل:
##########
الشيخ:" لا أعرف هل هو صحيح أو لا، الله تعالى أعلم ".
السائل:
##########
الشيخ:
" ثمّة بيعات، أو بيعتين على الأقلّ، بعد السنة العاشرة من بعثة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - يلتقي بالنّاس في المواسم، ففي عامه الأوّل التقى بمجموعة من الخزرج قادمة من يثرب آنذاك من المدينة، فكلّمهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - عن الإسلام ودخلوه وأسلموا ورجعوا إلى قومهم، ففي العام الثاني من لقاء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - بهم وهو العام الثاني عشر من بعثته – صلّى الله عليه وسلّم -

قدم اثنا عشر من الخزرج، في المرّة الأولى قدم ستة وفي المرة الثانية قدم اثنا عشر، خمسة منهم من الذين قدموا في العام الأوّل، وفي هذا اللقاء بايعوا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - بيعة تسمّى ببيعة العقبة الأولى وتسمّى ببيعة النساء، فرجعوا إلى قومهم وسُمّيت ببيعة النساء؛ لأنّهم إنّما بايعوه وفقاً لما بايعه عليه النساء بعد ذلك في غزوة بدر: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ} [الممتحنة: 12]

إلى آخر الآية، فرجعوا إلى قومهم وكلّموا النّاس عن الإسلام و لم يبقى في المدينة بيت إلّا وفيه ذكرٌ للإسلام، وفي العام القابل قدموا مكّة وهم أكثر من ثمانين، قيل ثمانون منهم امرأتان بايعوا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - بيعة العقبة الثانية، وتسمّى ببيعة العقبة الكبرى، وبعضهم يقول إنها هي بيعة العقبة الثالثة باعتبار اللقاء الأوّل بيعة و على كلّ حال الصحيح أنّهما بيعتان، بيعة العقبة الأولى التي تُسمّى ببيعة النّساء وبيعة العقبة الثانية و التي تسمّى ببيعة العقبة الكبرى، اختار منهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - اثني عشر نقيباً، وجعلهم نقباء على قومهم وبدأ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - يلتقي بهم، هذه البيعة وقعت عند العقبة عند مكان رمي جمرة العقبة، نعم في منى، وكان قد حضرها العبّاس ابن عبد المطّلب عمّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - وقيل أنّه كان آنذاك لا يزال على شركه، وقيل أنّه كان قد أسلم، ونادى الشيطان في النّاس:" إنّ بني قينة قد بايعوا مذمّما " و جعل المشركون يقولون إنّه أمرٌ دبّر بليل، المهمّ أنّ العبّاس – رضي الله عنه - حضر وكان يقول لهم:" إنّ النبي – صلّى الله عليه وسلّم - في منعة و في جاه وعزّ " و إنّهم إن كانوا سيمنعونه مما كانوا يمنعوه منه فهم و ذاك، فقالوا إنّه حبيبٌ عليهم وبايعوه – صلّى الله عليه وسلّم – وفقاً لما كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- امتحنهم على أساسه يوم بدر فرجعوا، وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - قد أرسل معهم في بيعة النّساء معصب ابن عمير العبدري وعبد الله ابن أمّ مكتوم، وكانا يقرئان الأنصار القرآن، وكانا يعلّمانهم أيضا دين الله سبحانه و تعالى، فأسلم أسعد ابن زرارة وأسلم على يد أسعد بن زرارة سعد ابن معاذ،

ولمّا أسلم سعد ابن معاذ بن عبد الأشهل قال أن لا يقرب النساء وأن لا يكلّم الرجال حتّى يسلموا جميعا، فأسلموا جميعا ولم يبقى منهم سوى الأصيرم عمر ابن ثابت بن وقش الذي قتل يوم أحد شهيد – رضي الله عنه -، هذه بيعة العقبة وكانت بمثابة مقدّمة لهجرة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – حتى يجد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - مقاما أميناً وموطناً مناسباً، كان هذا من قبيل تلك الأمور التي ابتدأ النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم - بها هجرته، ولمّا أتى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – أيضا بنى المسجد وآخى بين المهاجرين والأنصار وعقد معاهدة مع اليهود إلى غير ذلك، كلّ هذا أيضاً كان يفعله النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - قبل أن يبدأ الجهاد في سبيل الله، كان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - لا يبدأ مرحلة إلّا وقدّم له بمراحل كثيرة، ولكن كما قلنا العبرة بعد كلّ ذلك إنّما هي بكمال الدين لا بالمراحل التي مرّت بها دعوته – صلّى الله عليه وسلّم - "

السائل:

##########

الشيخ:

" صوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر متفّق على حديثه، حديثه رواه البخاري ومسلم، جاء عن أبي هريرة وعن غير واحد من الصحابة، ولكن في رواية عند الترمذي أنّها الأيّام البيض أي أيام الليالي البيض، وفي بعض الروايات أنّها الأيّام الثالث عشر، الرابع عشر، الخامس عشر، وفي بعض الروايات هي الرابع عشر، الخامس عشر، السادس عشر؛ هذه روايات، على كلّ حال الليالي البيض صومها

صحيح يعني صوم أيّامها عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - لا نرى ### في صحّتها، الذين قالوا بكراهته لم يقم على ذلك دليل كما قال الخليل ابن اسحاق في مختصره، و ######## هذا ضعيف لأنّه خلاف ما صحّ عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - في سنن الترمذي وعند غيره، ويوم الإثنين ويوم الخميس صحّ أيضا عند

أهل السنن أن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - ندب إلى صومهما، وقال إنّهما يومان تعرض فيهما الأعمال ويحبّ أن يعرض عمله وهو صائم، ويوم الإثنين على انفراد، صحّ في صحيح مسلم أنّه – صلّى الله عليه وسلّم - سُئل عن صيام يوم الإثنين قال:" ذلك يوم ولدت و يوم بعثت" أو " أنزل عليّا فيه". ثمّة أيّام أخرى كصيام يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرّم كما في صحيح مسلم قال:" إنّه يكفّر السنة الماضية " وفي صحيح مسلم أيضا وفي سنن أبي داوود أنّه قال أيضا:" ولئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع". صيام يوم تاسوعاء أيضا هو أمر حسن وسنّة، ثمّة يوم عرفة، صحّ عند مسلم أنّه – صلّى الله عليه وسلّم - قال:" إنّه يكفّر السنة الماضية ويكفّر السنة القابلة "، وفي بعض الروايات" السنة الآتية"، فإنّه يكفّر السنتين هذا أيضا مندوب إليه، كذلك صيام ستّ أيّام من شوّال هو أيضا في صحيح مسلم وقال:"إنّ صيامه كصيام الدّهر"، تماما كما قيل في صيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر صحّ ذلك عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، والصّوم مطلقاً أمرٌ حسن سنّة في كلّ الأيّام إلّا في أيّام معدودة، في العيدين قد نهى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - عن ذلك كما هو متّفق عليه عن عمر ابن الخطّاب وعن أبي هريرة وعن غيرهما، وصوم يوم الجمعة على انفراد صحّ أيضا نهي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – عنه، وأمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - بصيام يوم قبله وصيام يوم بعده، صيام يوم السبت أُختلف فيه، فمالكٌ قال إنّ النهي عن صيام يوم السبت إلّا فيما افترض علينا حديث كذبٌ وباطل، ومنهم من علّله بالاضطراب ومنهم من علّله بجهالة بعض رواته ومنهم من قال إنّه حديثٌ حسن كابن القيّم وغير واحد من أهل العلم، اختلفوا في صيام يوم السبت على انفراد ومنهم حتّى من نهى عن صومه حتّى مع غيره من الأيّام.
صيام أيّام التشريق مكروه هو الآخر وجاء أيضا فيه النّهي، ولكنّه حديث ضعيف، ولكن ثمّة ما يدلّ على كراهته على الأقلّ في حديث نبيشة في صحيح مسلم أنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - قال:" أيّام التشريق أيّام أكل وشرب وذكر لله عزّ وجلّ "، فليست هي أيّام صيام،

هذه الأيّام فقط في صيامها ما فيه أمّا غير ذلك من الأيّام فليصم المرء ما شاء الله، وقد صحّ في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- قال:"من صام يوماً في سبيل الله بعّد الله به وجهه عن النّار سبعين خريفا" أو كما قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-."
السائل:
########
الشيخ:

" الله تعالى أعلم، لا أعرف ما نُقل عن مالك، فقط ندب إلى صيام ثلاثة أيّام في الشهر و لكنّه كره أن تكون هذه الأيّام الأيّام البيض".

[الشريط الثالث]

بسم الله الرّحمن الرّحيم
وصلّى الله وسلّم على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه والتّابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين،
إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة وجاهد في الله حقّ جهاده حتّى أتاهُ اليقين ـ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ـ وعلى آله وأصحابه والتّابعين، أمّا بعد:
فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعةٍ ضلالة ـ نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة من الضلال ـ، اللّهم ربّنا أرنا الحقّ حقّاً وأرزقنا اتّباعه وأرنا الباطل باطلاً ولا تجعلنا أتباعه، واجعلنا هداةً مهديّين لا ضالّين ولا مضلّين.
شرع الناظم ـ رحمه الله ـ في الكلام عن غزوة بدرٍ الكبرى بعد أن ذكر الغزوات الّتي غزاها النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بنفسه قبل هذه الغزوة الكبرى، وذكرنا أيضاً بعض السّرايا والبعوث الّتي أرسلها النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ إمّا لقتال الكافرين ولنهب أموالهم أو لتعليم الكافرين والمشركين وإرشادهم وتوجيههم إلى الدخول في الإسلام. هذه الغزوة الّتي بدأ الناظم هاهنا بذكرها هي غزوة بدرٍ الكبرى، وتسمّى بالفرقان؛ فيوم بدرٍ هو يوم الفرقان وهو يوم النّصر، وهو يوم البطش، وهو يوم العذاب، وهو يوم الإنتقام، وهذه الأسماء سنأتي على ذكرها ـ بإذن الله ـ عندما نأتي لقول الناظم عند كلامه عن هذه الغزوة:

يومٌ له ما بعده في الكفر = وقد أتى منوّهاً في الذّكر
بأنّه العذابُ واللّزام = وأنّه البطشُ والإنتقام
وأنّه الفرقان بين الكفر = والحقّ والنّصر سجيس الدهر

أي أنّه النصر، فهذا اليوم يوم بدر هو يومٌ له ما بعده، وهو أوّل يومٍ دامٍ بين معسكر الإيمان وبين عسكر الشرك، وقد خرج النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – مع أصحابه إلى بدر كما هو معلوم، بعد أن علم أن عير قريش التي كان على رأسها أبي سفيان هي في قفولها وعودتها من الشام، وقد مرّ بنا في غزوة العُشيرة أنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – خرج مع أصحابه لنهب تلك العير ولم يدركوها وفاتتهم، فلم يزل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يتحسّس الأخبار ويأمر أصحابه بأخذ أخبار تلك العير حتّى أخبروه بعودتها، فعند ذاك لم يكن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قد أوعب وخرج بجيشه كلّه، ولم يكن هو والصحابة الكرام قد تجهّزوا للقاء المشركين كجيش إنّما خرجوا لنهب تلك العير. وقد مرّ بنا فيما مضى الأسباب الّتي حملت النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه على نهبِ وأخذِ أموال المشركين، (فبدرٌ الكبرى لعير صخرٍ)
هذه الغزوة تسمى بغزوة بدرٍ الكبرى لأنّ ثمة غزوة هي غزوة بدرٍ الأولى وهي

الّتي تسمّى بغزوة صفوان، وقد مرّ بنا ذكرها حينما تبع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه كُرز بن جابرٍ الفهري، واستردّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلم – اللّقاح و## المدينة، وفاتهُ كرزٌ وأصحابه ولكنّهم بلغوا موضعاً يسمّى بموضع صفوان هو قريبٌ من بدر الّتي قلنا أنها بئرٌ سُمّيت بذلك؛ لأنّه حفرها رجلٌ من غفار يسمّى ببدر،

فبدرٌ الكبرى لعير صخر = آئبةً من شأمها بالكثر

صخر هو أبو سفيان ابن حربٍ – رضي الله عنه – كان آنذاك لا يزال على شركه ولكنّه أسلم يوم الفتح وحسُن إسلامه، فهو أحد الصحابة الأخيار وأحد المؤمنين الأبرار ولا يطعن فيه إلّا الشيعة الّذين هم من أعداء النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأعداء الله وأعداء أصحابه، هو صحابيٌّ جليل روى عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – الأحاديث وشارك أيضاً – رضي الله عنه – في الفتوحات، كان آنذاك لا يزالُ على شركه لأنّه كان سيّداً من سادات قريش، وكان كثير الأموال، وكان على رأس هذه العير التي كانت عائدةً وآئبةً أي راجعةً من الشام، (بالكثر): أي بكثيرٍ من الأموال قيل أنّها: أربعون بعيراً وكان فيها خمسون ألف دينار.

ولذلك قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – كما ذكر ابن هشام وغيره:" هذه عيرُ قريش أخرجوا إليها علّ الله ينفلكموها " أي: يجعلها نافلة، والنافلةُ تُقال للغنيمة كما في قول الله – سبحانه وتعالى -: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [الأنفال: 1]؛ فالأنفال هي الغنائم وسُمّيت النافلَة نَافلةً لأنّها زيادةٌ في الأجر فهي كالغنيمة، والنّفلُ في الأصل هو الزيادة ومنه النفلُ الذي يعطيه الأمير لبعض أفراد جيشه وسنتكلّم عنه – إن شاء الله سبحانه وتعالى – في كلامنا عن هذه الغزوات.

فبدرٌ الكبرى لعير صخر = آئبةً من شأمها بالكثر

لمّا علم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – بمقدم هذه العير انتدب أصحابه للخروج، ولم يُكره أحداً على الخروج. وخرج هو والصحابة الكرام فقط لنهب تلك العير لا لقاء جيش المشركين، وإنّما لأخذ تلك العير، ولذلك خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – في ثلاثمائة وبضعة عشر مسلماً، خرجوا مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم، استخلفه على المدينة وخلّفه أيضاً للصّلاة. ولمّا بلغ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – الروحاء ردّ أبا لُبابة ابن المنذر واستخلفه على المدينة. وكانت هذه الوقعة يوم

الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من هجرة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، وسنأتي على تفاصيلها – بإذن الله سبحانه وتعالى – تبعاً لما ذكرهُ الناظم، ثم قال:

واعتقبوا في ذلك المسيرِ = كل ثلاثةٍ على بعير

أي: أنّ الصحابة الكرام في مسيرهم ذاك كانوا يتعاقبون كلّ ثلاثةٍ على بعير، وكان عندهم سبعون بعيراً وكان منهم رجّالةٌ ليس عندهم ما يركبونه إنّما يسيرون على أقدامهم. كان النبي – صلى الله عليه وسلم – ومرثد ابن أبي مرثد وعلي ابن أبي طالب يتعاقبون على بعير. ومن أحسن القصص وأروعها في تواضع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ما ذُكر عنه هاهنا أنّه كان يسير على

قدميه كانا ينزلان عنه ويقولان له اركب حتّى نمشيا عنك فيقول لهما – صلّى الله عليه وسلّم -:" ما أنتما بأقدر منّي على المشي وما أنا بأغنى منكما عن الأجر "، هكذا كان النبي – صلّى الله عليه وسلّم – بين أصحابه، لا يحبُّ – صلّى الله عليه وسلّم – أن يُرى متميّزاً عليهم، ولذلك من المعلوم كما ذكر الترمذي وغير واحد في شمائله – صلّى الله عليه وسلّم –أنّه كان يجلس بين أصحابه كأحدهم وكان يجلس حيث انتهى به المجلس – صلّى الله عليه وسلّم -، ولذلك صحّ في صحيح البخاري أنّ أعرابياً أتى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – فلمّا أناخ راحلته قال لهم: "من منكم رسول الله؟ أيّكم رسول الله؟ " يسألهم عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – لأنّه كان لا يحبُّ أن يُرى متميّزاً على أصحابه – صلى الله عليه وسلم -. وكذلك كان زيد بن حارثه وابنه وأحد موالي النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يتعاقبون على بعير، مواليه الثلاثة هؤلاء كانوا يتعاقبون على بعير.
كذلك كان أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوفٍ كانوا يتعاقبون هم الآخرون أيضاً على بعير.
(واعتقبوا في ذلك المسير)
أي: في مسيرهم إلى بدر في مسيرهم لتلقّي قافلة أبي سفيان عند رجوعها من الشام كانوا يتعاقبون كلّ ثلاثةٍ منهم يتعاقبون على بعير.

واعتقبوا في ذلك المسير = كل ثلاثةٍ على بعير
ولم يكونوا أوعبوا للحرب = إذ ما غزوا لغير نهب الركب
فلم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أوعب؛ يُقال أوعب بجيشه إذا خرج به كله، ومنه الاستيعاب عندما يستوعبُ الواحد منّا الدرس أي يفهم الدرس كله.
فالنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكن قد خرج بجيشه كلّه وإنّما بقي كثيرٌ من الفرسان في المدينة، ولذلك سنرى – بإذن الله – إنّه عندما يعودُ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – سيبقى الأثر قويّاً ظاهراً في قلوب وفي وجوه كثيرٍ من الصحابة لأنّهم لم يشهدوا هذه الوقعة العظيمة، ولذلك سيقول له سعد بن معاذ في هذه الغزوة إنّهم تركوا خلفهم رجالاً يحبّون أن يكونوا مع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – في ذلك الحين، وليسوا هم بأشدّ حبًّا للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – من أولئك الذين ضلّوا في المدينة، ولكنّه لم يكن قد خرج بصحابته المقاتلين كلّهم.
ولم يكونوا أوعبوا للحرب = إذ ما غزوا لغير نهب الركب
إنّما غزى لنهب قافلة أبي سفيان، وقد مرّ بنا أنّ المشركين آنذاك كانوا مستحقّين بأن لا تكون لأموالهم ولا أعراضهم ولا لأنفسهم حرمه بسبب ما فعلوه للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وصحابته، فهم الذين بدأوا بالقتال كما ذكر الله – سبحانه وتعالى -: {وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [التوبة: 13] وهم الذين أخرجوا النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – والصحابة من ديارهم كما في قوله – سبحانه وتعالى – أيضاً: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} [الحج:39،40] مع ذلك أيضاً بسبب ما تلبّسوا به من قذارة الشرك ودرن الإلحاد فإنّهم يستحقّون أيضاً أن تُهدر دماؤهم وأن تُأخذ أموالهم وأن تُسبى نساؤهم وذراريهم كما كان يفعل النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – والصحابة الكرام، إلّا بالنسبة لمن من المشركين كان ذا أمانٍ أو ذا عهدٍ أو ذا صُلحٍ كما مرّ بنا،

ولم يكونوا أوعبوا للحرب = إذ ما غزوا لغير نهب الركب
وليس عندهم من السيوف = غير ثمانٍ للعدا حتوفِ
ولا من الخيل سوى اثنتين = وقد كفتهم أهبة التمكين
لم يكن عندهم من السيوف غير ثمان السيوف، كانت عندهم ثمان سيوف هي مجرّد ما عندهم آنذاك من السيوف. وكانت عندهم أسهمٌ ونبالٌ تُعد هي قليلةٌ جداً، ومن الناس من أعرض عنها ولم يذكر أنّ عندهم نبالاً ولا سهاماً. وليس عندهم أيضاً من الخيل سوى فرسين هي مجموع ما قيل أنّه كان عندهم من الخيل كانت عندهم فرسٌ للمقداد بن عمر تسمّى (بعزجة) وفرسٌ للزبير بن العوام تسمّى (اليعبوب)، وقيل إنّه اختلف في ذلك فقيل إنّه كانت عندهم فرس لمرثد ابن أبي مرثد تسمّى بالنيء وعلى كل حال كثيرٌ من أهل العلم جازمون بأنّهم لم يكن عندهم من الخيل سوى فرسين (وليس عندهم من السيوف =غير ثمانٍ للعداء حتوف) أي: أنّها ثمان سيوف شديدة الحتف، الحتفُ: هو الهلاك بأعداء الله ورسول الله – صلّى الله عليه وسلّم -،
ولا من الخيل سوى اثنتين = وقد كفتهم أهبة التمكين
لأنّ الله – سبحانه وتعالى – مكّنهم وجعل التمكين لهم بسبب إيمانهم بالله كان ذلك كافياً لهم، يكفيهم ذلك من العدة والعتاد، فمن مكّنه الله – سبحانه وتعالى – فلا شكّ أنّه هو الغالب كما قال الله – جلّ من قائل -: {إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ} [آل عمران: 160] وعندما يحقق الناس الإيمان بالله – سبحانه وتعالى – حقاً فالله ناصرهم لا محاله، لأنّ الله – سبحانه وتعالى - يخاطب المؤمنين – جلّ من قائل – قائلا – سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7] فهذا شرطٌ وجوابه {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ} هذا هو الشرط لـ (

إن) التي تُفيد الشرطية كما هو معلوم {يَنصُرْكُمْ} هذا هو جوابه، والأمر هينٌ واضح، وهذا ممّا جعله الله – سبحانه وتعالى – حقًّا عليه ولكن شرطه الإيمان به – سبحانه وتعالى – كما ذكرنا فالله – سبحانه وتعالى – يقول: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47]، ويجعلُ للمؤمنين النجاة من كيد الأعداء ومن دسّهم ومن حقدهم وكمائنهم ولذلك فإنّ الله - سبحانه وتعالى – يقول: {ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 103] فالمؤمنون أتباعُ الأنبياء والمرسلين، الله – سبحانَه وتعالى - منجّيهم فكما قال الله – سبحانه وتعالى – لمّا ذكر أمر ذي النون يونس – عليه السلام – قال: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)} [الأنبياء]، بقدر ما حقّق المرء الإيمان بقدر ما نصره الله على أعدائه ونجّاه من كيدهم. ولذلك لا ينبغي النظر في كثيرٍ ممّا هو مطروحٌ للنّاس في هذا الزمان خصوصاً فيما يتعلّق بفقه الموازنات، فإنّ الأخذ بالموازنات ممّا هو مطلوبٌ ومشروع ولكنّ ذلك في الغالب إنّما هو في الأمور الإختيارية؛ إنّما هو فيما للرأي والإختيار فيه مجال فنوازن بين الأمور، ولكن عندما يكون الأمر مقضيًّا به من الله – سبحانه وتعالى – ومن رسوله – صلّى الله عليه وسلّم – فالميزان يقتضي الأخذ بما قضى به الله وقضى به رسوله – صلّى الله عليه وسلّم

ـ ولذلك عندما نأخذ بهذا الفقه في كل الأمور ونطلقُ فيه ولا نقيّد ونعمّم فيه ولا نخصّص فإنّنا سنميت أبعاداً من الأهميّة بمكان إحياءها. فالبعدُ الإيماني والبعدُ الروحي هذا كلّه ممّا ينبغي أن يكون حاضراً عندما نتركُ ما أمر الله – سبحانه وتعالى – بالعمل به من ردّ كيد الكافرين، ومن الدفاع عن شريعة ربّ العالمين، ومن نشر سنة سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – بدعوى أنّه لا قبل لنا بمحاربة أعداء الله حتى تكون القوةُ متوازنة بين الطرفين فإنّنا بذلك نُميتُ البعد الإيماني، أين توكلنا على الله – سبحانه وتعالى ـ؟ وأين إيماننا بالغيب؟ وأين وقوفنا عند الثوابت والمبادئ موقنين أنّ الله ناصرنا بقدر وقوفنا عند

تلك الثوابت والمبادئ، وكل هذا سيموت إذا كنا نعتمد فقط على الموازنة حتى يكون عندنا من الأمور الماديّة ما يوازن ما عند أعداء الدين، ولذلك سنرى خلال تتبّعنا للغزوات أن الصحابة ## في يوم من الأيّام أكثر عدّةً وعتاداً من المشركين وجيوشهم. وهكذا أيضاً عندما نتتبّع في القرآن قصص أنبياء الله مع أعدائهم سنجد أيضاً أنّ أعداء الدين كانوا دائما أكثر قوّةً وأكثر نفيراً ومع ذلك كانت الغلبةُ وكان النّصرُ دائماً حليف المؤمنين الأبرار أتباع الأنبياء والمرسلين.

(وقد كفتهم أهبة التمكين)

ثم بعد ذلك

وليس عندهم من السيوف = غير ثمان للعدا حتوفِ
ولا من الخيل سوى اثنتين = وقد كفتهم أهبة التمكين
واستنفر النفير صخرٌ لهم = وجاء خير مرسل ألبهم
فأخبر الناس بهم ممتحناً = وقال سعدٌ ما رأى وأحسنا
وكان من رواية المقداد = أن رضي السير إلى الغماد
وعمرُ استقل جيش الحنفا = واستكثر الذي إليه زحفا

إذا هاهنا يشير الناظم – رحمه الله – إلى بعض القصص الواردة خلال هذه الغزوة، لمّا اجتمع النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – بأصحابه، وقبل ذلك يذكر لنا ما كان من أبي سفيان، حيث قال الناظم:

واستنفر النفير صخرٌ لهم = وجاء خير مرسل ألبهم

أي: أنّ صخراً وهو أبو سفيان ابن حرب استنفر النفير، يشر إلى أنّ أبا سفيان أرسل ضمضم ابن عمرٍ الغفاري يخبرُ قريشاً بأنّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه قد خرجوا لنهب أموالهم، فقام ضمضم ابن عمرٍ الغفاري وجدّع أنفه ونحر ناقته وشقّ ثيابه وتلطّخ بدمائها، ثمّ قام على تلٍّ مرتفعٍ أطلّ من خلاله على مكّة وجعل يصيح وينادي بأعلى صرخة وبأعلى صوته: "يا معشر قريش اللّطيمة اللطيمة، هذه عيركم قد خرج إليها محمدٌ وأصحابه"، فأمرهم بإدراكها وإلا حلّ بها ما حلّ بعير ابن الحضرمي. ومن هنا قامت قريش، وقامت على حرب وعلى حميّةٍ وعصبيّة وغضبت غضباً شديداً وأوعدت بجيشها وقالوا:" أيظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون عيرنا كعير ابن الحضرمي؟! "، وقد مرّ بنا في سرية نخلة في سرية عبدالله بن جحش وأصحابه في الأشهر الحرم ما فعل الصحابة الكرام بعير ابن الحضرمي، فقامت قريشٌ وخرجت لتلقّي عيرها حتّى لا تكون عرضةً لنهب النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه ولم يتخلّف أحدٌ من

سادتهم سوى أبي لهب، فإنّ أبا لهبٍ أخرج عنه رجلاً كان له عليه دين، أمّا الآخرون من السادة فإنّهم خرجوا وقريشٌ بصفةٍ عامّة إمّا أن يكون خرج أحدهم أو أخرج أحداً مكانه، وخرجت بطون قريش كلّها إلّا بنو عدي فإنّه لم يشهد بدراً أحدٌ منهم. وعند ذاك قام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وجمع أصحابه لمّا علم بخروج قريشٍ إليهم للدفاع عن عيرها وعن أموالها.
واستنفر النفير صخرٌ لهم = وجاء خير مرسل ألبهم
الإلب: تُقال في الاجتماع،
لَقَدْ جَمَّعَ الأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا = قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مُجَمَّعِ
كما قال خبيب بن عدي، ألّبوا أي أجمعوا ومنه التأليب أي جمعَ الناس،
والناس إلب علينا فيك ليس لنا = إلا السيوف وأطراف القنا وزر

كما قال حسان بن ثابت – رضي الله عنه -، إلبٌ علينا أي: أنّهم مجتمعون علينا بسبب نصرتنا لك يا رسول الله، – صلّى الله وسلّم- على رسول الله.
فاجتماع قريش وصل إلى النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –
فأخبر الناس بهم ممتحناً وقال سعد ما رأى وأحسنا
وكان من رواية المقداد أن رضي السير إلى الغماد
فقام النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأخبر الناس ممتحناً لهم ومختبراً إياهم، فقال لهم:" أشيروا علي؟ " فتكلّم المهاجرون وأحسنوا الكلام، ثمّ قال: " أشيروا علي؟ " فتكلّموا أيضاً وأحسنوا الكلام، ثمّ قال:" أشيروا عليا " وكان يعني الأنصار، ففهم الأنصار ذلك، ذلك لأنّه – صلّى الله عليه وسلّم – أراد أن يختبر من الأنصار موقفهم ذلك لأنهم قد بايعوه على أن يمنعوه ممّا يمنعوا منه أنفسهم وأهلهم ما دام معهم في المدينة، أمّا في غيرها فأراد النبي – صلّى الله عليه وسلّم – امتحانهم واختبارهم فقال سعد بن معاذ وأحسن كما قال الناظم قال كلاماً رائقاً:
فأخبر الناس بهم ممتحناً وقال سعد ما رأى وأحسنى
وسعد هو: سعد بن معاذ الأشهلي – رضي الله عنه – سيّد بني عبد الأشهل وسيّد الأوس وسيّد الأنصار بل هو سيّد المسلمين، لأنّه لمّا عاد من عند بني قريظة بعدما حكمه النبي – صلى الله عليه وسلم – فيهم وكان قد أُصيب بسهمٍ يوم الخندق قبل بني قريظة بقليل وجاء محمولاً على حمار قال لهم النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -:" قوموا إلى سيدكم فأنزلوه " والحديث رواه البخاري وغيره. فهو سيدٌ من سادات المسلمين – رضي الله عنه –، وقد أسلم بعد بيعة العقبة الأولى على يد أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير وعبدالله بن أم مكتوم. وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قد أرسل مصعب بن عميرٍ وعبد الله بن أم مكتوم

يعلمّان الناس ويقرآهم القرآن، فأسلم أسعد بن زرارة – رضي الله عنه – وعاد إلى مكّة والتقى بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في بيعة العقبة الكبرى كما هو معلوم. أسلم على يده سعد بن معاذ فلمّا دخل الإسلام أتى قومه من بني عبد الأشهل وسألهم عن مكانته فيهم، فأخبروه أنّه سيدهم وابن سيدهم وأنّه أجزلهم رأياً وأيمنهم نقيبا، فلمّا أخبروه بذلك قال: "إنّ كلام رجالهم عليه حرام كذلك الإقتراب من نسائهم حتى يدخلوا في دين محمدٍ – صلى الله عليه وسلم –"، فقالوا:"ديننا دينك وأسلموا كلّهم"، ولم يقع النّفاقُ من أحدٍ منهم إلّا رجلٌ واحد

هو أصيرم بن عبد الأشهل واسمه عمرو بن ثابت بن وقش سيدخل الإسلام يوم أحد وسيُقتل فيه ويجد الشهادة و سنرى الكلام عنه – بإذن الله – عندما نتكلّم عن كلام الناظم هناك لما قال:

ليس لهُ غيرَ القتالِ عَمَلُ

يعني أصيرم بني عبد الأشهل – رضي الله عنه -. فسعد بن معاذ - رضي الله عنه – كانت له هذه المكانة وهذه المنزلة كان ذا رأيٍ سديدٍ – رضي الله عنه – وكان أيضاً عنده يمن نقيب - رضي الله عنه – ولذلك لمّا أسلم كان شديداً على أعداء الدين ولما أسلم هو وسعد بن عبادة سيد بني ساعدة وسيد الخزرج وهما السعدان، سمعوا قائلاً ينادي ويقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد

بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا

ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيا

على الله فى الفردوس منية عارف

فسعد بن معاذ هذا قال للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ذلك اليوم: "كأنّك تعنينا يا رسول الله؟ "، فقال له:" نعم"، فقال له: "يا رسول الله لقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض بنا يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق بشيراً ونذيراً لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنّا لصبرٌ في الحرب صُدقٌ في اللقاء لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله"، وأصل هذا عند البخاري ورواه أهل السير وغيرهم.

وقيل أنّه قال للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ذلك اليوم: "يا رسول الله اظعن حيث شئت، وصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، هذه أموالنا بين يديك خذ منها ما شئت وأعطنا ما شئت، وما أخذت منها أحبُّ إلينا مما تركت، فوالذي بعثك بالحق بشيراً ونذيراً لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ".

فلمّا قال ذلك الكلام سُرّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – به وقرّت بذلك عينه واطمأنّ بالهُ – صلّى الله عليه وسلّم-،

وقال سعد ما رأى وأحسنا

أي: أحسن في القول،

وكان من رويّة المقداد = أن رضي السير إلى الغماد

وكان من روية: أي: من رواية ومن أمر ومن شأن المقداد بن عمر – رضي الله عنه – أنّه رضي السير إلى الغِماد، والغماد يُقال أنّه هو أقصى موضع الأرض ويُقال له الغمدان، والمقداد بن عمر – رضي الله عنه – ويُقال له أيضاً المقداد بن الأسود كان من فرسان

الصحابة المشهودين المشهورين وكان أيضاً ممّن يحبهم الله – سبحانه وتعالى – وأمر الله نبيّه – صلى الله عليه وسلم – بحبّهم، جاء في ذلك حديثٌ ذكرهُ أبو

عبدالله الحاكم وفيه ضعف وذكره أيضاً أحمد – رحمه الله – في مسنده وعقده البدوي في نظمه للأنساب قال:
أربعةٌ أخبر خير مرسل = بحبه لهم إلاه العلي
وحبّهُم ألزمه وهم علي = سلمان مقداد أبو ذر العلي
هؤلاء الأربعة أحبّهم الله – سبحانه وتعالى – وأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بحبّهم، وكان المقداد بن عمر في ذلك اليوم من فرسان الصحابة، وقد مرّ بنا أنّه أسلم بعد هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – بل التحق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في المدينة بعد الهجرة بقليل فيما مضى من السرايا التي وقعت قبل هذه الغزوة. قال المقدادُ بن عمرٍ ذلك اليوم: "يا رسول الله، والله لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك " _ وبرك الغماد: هو كما قلنا يقولون إنّه أدنى موضع الأرض، قديماً ثمة شيخٌ كان يدرسني كان يقول إنّ برك الغماد تُقال ## والله تعالى أعلم – هذا مما لا يُعرف له أصل. - "والله لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى {اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: 24] ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون"، فقال له النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – خيراً ودعا له بخير،
وكان من رويّة المقداد = أن رضي السير إلى الغماد
وعمرُ استقل جيش الحنفا
أي: أنّ عمر بن الخطاب وهو أبو حفص عمر بن الخطاب خليفةُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، غنيٌ عن التعريف هو أوّل من يأخذ الكتاب بيمينه كما ذكر أيضاً أبو عبد الله

الحاكم وأورده السيوطي في تاريخ الخلفاء وعقده عبد القادر بن محمد بن محمد سالم في الواضح حين قال:
سيّدنا عمر هو أول = من يأخذ الكتاب فيما نقلوا
ثم أبو سلمة يتلوه = وعكسه الأسود أخوه
سبحان من يفعل ما يريد = وعنه لا ينقص أو يزيد
-سبحانه وتعالى -.
عمر بن الخطاب صهر النبي – صلى الله عليه وسلم – وخليفتهُ وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الذين رضي النبي – صلى الله عليه وسلم – عنهم وتوفي عنهم وهو عنهم راضٍ – صلى الله عليه وسلم -، ذاك الذي كان يوافقه القرآن؛ موافقات عمر مشهودةٌ معروفة مشهورة، ذاك الذي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – كثيرا ما يقول: " دخلت أنا وأبو بكرٍ وعمر " ذاك الذي قال النبي – صلى الله عليه وسلم -:"إنّه أشد الناس في دين الله " كما روى ذلك أحمد وذكره أبو عمر ابن عبد البر وهو حديثٌ حسن جاء من حديث أنس ومن حديث أبي سعيد الخدري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال: "أرحم أمّتي بأمّتي أبو بكر وأشدّهم في دين الله عمر " الحديث ##.
عمر بن الخطاب في ذلك اليوم استقلّ جيش الحنفا، رأى قلّة أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم - واستكثر الذي إليه زحفا أي: استكثر زحف المشركين، والزحفُ تُقال للقتال وتُقال أيضاً للجيش الذي يخرجُ للقتال ولذلك التولي يوم الزحف أي: يوم القتال، فالزحفُ هو القتال وهو أيضاً الجيشُ المقاتل وتُقال أيضاً

لحركة الجيش المقاتل كل ذلك يُقال له زحف،
واستكثر الذي إليه زحفا

ذلك لأن عمر بن الخطاب ذلك اليوم قال: "يا رسول الله هذه قريشٌ خرجت بعدتها وعتادها"، أي أن قريشاً ذلك اليوم خرجت بخيلها وبخُيلائها وكبريائها خرجت أشراً وبطراً ورئاء الناس كما قال الله – سبحانه وتعالى -: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ} [الأنفال: 47] – نسأل الله السلامة والعافية -، فقال:"هذه قريشٌ خرجت بعدتها وعتادها، والله ما عزت منذ ذلت، وما آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنّك فعليكم أن تعدّوا لذلك عدته وأن تتأهبوا له أُهبته"، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك يجهّز جيشه، من المعلوم أنّه في خروجه أعطى لواء المسلمين العام لمصعب بن عمير العبدري – رضي الله عنه –، وسنتكلم – إن شاء الله – عن بعض روائع أخباره عند قول الناظم (وابن عمير مصعب ...) إلى أن يقول في ذكره لقصته عند مروره على أبي عزيز ابن عمير وهو في أسر صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم -:
فحضّهم أن شدّدوا إنّ له = أمًّا ملية تفك كبلهُ
سنتكلم هناك – إن شاء الله – عن مصعب بن عميرٍ العبدري ذلك الشابُ الناسك الناشئ في طاعة الله – سبحانه وتعالى –، حمل اللّواء في هذا اليوم حمل اللواء العام وحمله أيضاً يوم أحدٍ واُستشهد في ذلك اليوم – رضي الله عنه -، وأعطى لواء الأنصار لسعد بن معاذ ولواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه -، وبدأ النبي – صلى الله عليه وسلم – يوصي أصحابه ويعدُ للّقاء عدته كما سنرى – بإذن الله سبحانه وتعالى -،
وعمرُ استقل جيش الحنفا = واستكثر الذي إليه زحفا
(يكمل قراءة النظم رجل آخر):
واستبقوا صخراً لبدر وانتحى = وأخذوا واردَةً وزحزحا
عنها النبي الضرب إذ قال هما = واردة النفير واستفتاهما

وعندما أمِن صخرٌ أرْسلا = إلى النفيرِ أن يَؤوبَ قُفلاَ
ورد الاخنس المسودُ على = حلف بني وهرةَ وازداد علاَ
(الشيخ يقول: عدها عذرا)
واستبقوا صخراً لبدر وانتحى = وأخذوا واردَةً وزحزحا
عنها النبي الضرب إذ قال هما = واردة النفير واستفتاهما
الشيخ:
أشير هنا إلى ما صحّ من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتحسّس الأخبار في ذلك اليوم، وأرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – المقداد بن عمر وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وكانوا يأتون بالأخبار، فوجدوا واردةً فأتوا بهما إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – كان هؤلاء يردون الماء لقريش وكان النبي – صلى الله عليه وسلم يصلي، فكان الصحابةُ الكرام يضربون هذه الواردة يضربون هذين الغلامين الّذين كانا يردان الماء لقريش لجيش المشركين، وإذا قالا إنّهما لقريش أوجعهما الصحابةُ ضربا، وإذا قالا إنهما لأبي سفيان تركهما الصحابة فلما انتهى النبي – صلى الله عليه وسلم – وانصرف من صلاته قال للصحابة

الكرام: " إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنّهما لقريش "، وكان الصحابة الكرام يحبّون أن يكونا ذلك الشخصان لأبي سفيان؛ لأن الصحابة كانوا لا يزالون يطمعون في نهب عير أبي سفيان، وصدّق النبي – صلى الله عليه وسلم- الغلامين، ثم بعد ذلك سأل الغلامين عن خبر قريش، فقال لهم:" كم عدد القوم؟ "، فقالا: "إنّهما لا يعرفان عدد القوم"، فقال:" كم ينحرون؟ "، فقالا:"إنهم ينحرون يوماً تسعاً ويوماً ينحرون عشراً"، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -:"القوم ما بين التسعمائه إلى الألف"، قال:"من فيهم من سادة قريش؟ "، فذكرا أنّ فيهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن

المغيرة، وأمية بن خلف، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرٍ، و أبا جهل بن هشام وغيرهم، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -:"هذه قريشٌ قد رمتكم بأفلاذ كبدها"، وهؤلاء الصناديدُ كلّهم قُتلوا في ذلك اليوم لم يسلم منهم سوى اثنين لم يُقتلا في ذلك اليوم: حكيم بن حزام، وسهيل بن عمرٍ ودخلا الإسلام بعد ذلك، وكان سهيل بن عمرٍ إذا اجتهد في اليمين يقول: "لا والذي نجّاني يوم بدر"، المهم أن أولئك الصناديد قُتلوا كلهم يوم بدرٍ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – أيضاً يتحسّس الأخبار بنفسه، ومرّةً كان مع أبي بكر، ووجدا شيخاً من بني ضمرة، فسأل النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك الشيخ عن أمر قريش وعن ما سمع من خبرها، فقال لهما:"من أنتما؟ "، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم -:" إن أخبرتنا أخبرناك "، فقام الشيخُ وقال لهما:"إنّه قد سمع أنّ قريشاً قد خرجت يوم كذا وكذا، فإن كان ماسمعه صحيحاً فهي اليوم في موضع كذا وكذا وذكر من أمرها، وعندما سألهما من أين هما، قال له النبي – صلى الله عليه وسلم -:" نحن من ماء"، وبقي الشيخُ يقول:"من ماء، من ماء العراق"، بقي متحيراً، كل ذلك كان منه – صلى الله عليه وسلم – زيادةً في التعمية والإخفاء حتى لا يصل الخبرُ إلى أبي سفيان، ولكن أبا سفيان كان على قدرٍ كبيرٍ من الحذاقة والذكاء والفطنة، ومن المعلوم أنّ العرب كانت لا تجعل على السّيادة إلا من كان كذلك، خلافاً لما هو واقعٌ في هذا الزمان – نسأل الله السلامة والعافية -، فلمّا أتى بدراً وجدا رجلاً من بني ضمرة هو مجدي بن عمرٍ الضمري ولا يعرف له إسلام، وسألاه، فأخبره أنّه أتى رجلان وسمعا بعض الكلام وهما صحابيان ثم رجعا إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – فأخبراه الخبر، فلمّا أخبر مجدي بن عمرٍ أبا سفيان بذلك عمد أبو سفيان إلى المكان الذي أناخ فيه البعيرين، فجعل يأخذ النوى ويُفتته فقال:"والله لقد علفت هذه النوق تمر يثرب، والله إنّه لعلف يثرب"، ثمّ بعد ذلك نكّب بقافلته عن الطريق الذي يؤدي به إلى بدر، فأرسل بعد ذلك إلى قريشٍ يخبرهم أنّ عيرهم قد نجت، وأنّهم لا ينبغي أن يتمادوا في الخروج لقتال محمدٍ وأصحابه – صلى الله عليه وسلم –، وأنّه إنّما

خرجوا لإستعادة والدفاع عن أموالهم، وقد نجا الله – سبحانه وتعالى- عيرهم فعليهم أن يرجعوا، ولكنّهم أبوا عن ذلك، وقالوا:"إنهم سيردون بدراً"، قال ذلك سيّدهم الصنديدُ الكبير أبو جهل بن هشام، سيردون بدراً وستعزفُ لهم القيان وسيشربون الخمر وستسمعُ العربُ بخروجهم ولا يطمع محمدٌ ولاغيره من العرب بنهب أموالهم بعد ذلك، ثم قال الناظم:

ورد الأخنس المسودُ على = حلف بني زهرةَ وازداد علاَ
أي: أن الأخنس بن شريق، هو الأخنس بن شريق الثقفي، قيل أنّه أسلم ونافق – نسأل الله السلامة والعافية –، ولم يزل في إسلامه جفوه، وهو سيدُ بني زهرة مع أنه من ثقيف، ولذلك من المعلوم في الأسئلة عند أهل السيرة في ألغازهم يقولون: أنّه ما ساد حليفٌ قطّ سواه، هو حليف ليس من بني زهرة إنّما هو من ثقيف من أهل الطائف ولكنه سيّدُ بني زهرة، سادهم بعقله وحذاقته، لمّا علم بأنّ عير قريشٍ قد نجاها الله أمر أصحابهُ وقومهُ بالرجوع؛ لأنّهم إنّما خرجوا دفاعاً عن تلك العير ولم يقع للعير بأسٌ فأراد أن يرجع، ولذلك لم يشهد بدراً زهري كما هو معلوم، المشركون خرجوا أول ما خرجوا في ألفٍ وثلاثمائة رجل، عندهم مئات النبال والسيوف، وعندهم مئات الإبل، وعندهم مائة فرس، فردّ الأخنس ثلاثمائة هم من بني زهرة وازداد علا
(وردّ الاخنس المسودُ على = حلفٍ)
- هو سيدهم وحليفهم –
(بني زهرة وازداد علا)
أي: أنّه ازداد مكانةً ورفعةً عندهم عندما هُزمت قريشٌ شرّ هزيمة، ونكّل بهم المسلمون في ذلك اليوم أعظم التنكيل، فعرف له قومه رأيه بعد ذلك، والأخنس سُمّي بذلك؛ لأنّه خنس

بني زهرة، الأخنس هو الراجع، خنس أي: رجع، ومنه ما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين أنّه لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – في بعض طرق المدينة، قال:"فانخنست"، أي: فرجعت وغبت واختفيت عنه – صلى الله عليه وسلم -، فمن هنا سُمي الأخنس أخنساً.
وابن هشام قالَ لا أو يردا = بدراً فينحر ويرهب العدا
ابن هشام هو: أبو جهل، اسمه عمر بن هشام المخزومي، سيدُ بني مخزوم وأحدُ سادة قريش، كان يُكنّى بأبي الحكم؛ لأنّه كان ذا رأيٍ عندهم، فكنّاه النبي – صلى الله عليه وسلم – بأبي جهل، وهو فرعون هذه الأمةً حتّى يلقى حتفه في هذه الغزوة كما سنرى – بإذنِ الله سبحانه وتعالى– عند قول الناظم:
(فرعون الأمة النبي عرفًا = بجحشه ..)
بجحشه أي: أنّه عرفه النبي – صلى الله عليه وسلم – بجرحٍ كان قد أصابهُ به النبي – صلى الله عليه وسلم – أيام كان في مكّة.
فطاوعوه ومضوا وباتوا = بشرِّ ما بات به بغاة
عن كثب وأصبحوا بوحل = ثبطهم وبات خير مرسل
بخير ليلةٍ وأصبح على = أثبت أرضٍ للخطى وارتحلا
فنزلوا أدنى المياه للعدى = وغوروا جميعهن ما عدا
قليبهم وجعلوا الأواني = في جدولٍ فهي لهم دواني
الشيخ:

إذاً ثمّ قال الناظم:
(فطاوعوه ومضوا وباتوا = بشرِّ ما بات به بغاة
عن كثب ...)

فالمشركون طاوعوا أبا الحكم عمر بن هشام، طاوعوا أبا جهل – نسأل الله السلامة والعافية –، فلمّا عزم عليهم أن يردوا بدراً وأن ينحروا وأن يرهبوا العدا وأن تعزف لهم القيان فيشربون الخمر وتسمع العربُ بخروجهم، فطاعوه وكان أحمقاً مُطاعاً – نسأل الله السلامة والعافية –،

(... = وباتوا بشرِّ ما بات به بغاة
عن كثب ....)

ذلك لأنّ الله – سبحانه وتعالى – في ذلك اليوم أنزل مطراً، كان ذلك المطرُ شديداً على الكافرين، فجعل أرضهم وحلاً أي: طيناً لا يستطيع الماشي أن يمشي فيها فضلاً عن أن يُقاتل أو أن تتحرك فيها الخيل والإبل. أمّا الصحابةُ الكرام فإنّهم باتوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – خير مبيت، ذلك لأنّ الله – سبحانه وتعالى – أنزل المطر في ناحيتهم مطراً خفيفاً فطهّرهم الله – سبحانه وتعالى – بذلك المطر، فأذهب عنهم رجس الشيطان أذهب عنهم به رجس الشيطان، وثبت به أقدامهم، وكانت الأرضِ تحتهم لينة، وناموا نوماً خفيفاً، وجعل الله – سبحانه وتعالى – ذلك النعاس أمنةً لهم، ولذلك قال الله – سبحانه وتعالى – في هذا الأمر: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} [الأنفال: 11]؛ فثبّت الله – سبحانه وتعالى – بذلك المطر أقدامهم، أمّا المشركون فإنّهم كانوا في وحل، وكانوا في

طين، وأطاعوا أبا جهل، ثم ذكر الناظم ما كان من آراء خصوصاً تلك الآراء الصادرة عن بعض المشركين من أهل الرأي، فقال:

(لو طاوعوا عتبة أو حكيما = أو ابن وهبٍ مارأوا أليماً)

بل قال قبل ذلك ما أشار به الحُباب بن المنذر – رضي الله عنه – في أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر أصحابهُ بالنزول بمنزلٍ رآه، فأتاه الحُباب بن المنذر – رضي الله عنه – وقال له:"يا رسول الله أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّم عنه أو أن نتأخّر أم هو الرأي والحربُ والمكيدة؟ "، فقال له:"بل هو الرأي والحربُ والمكيدة"، فقال له:"يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فسر بنا حتى ننزل أدنى المياه فنغور ما دون ذلك من الماء فنشرب ولا يشرب الأعداء"، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم -:" أشرت بالرأي"، فغَوّروا ما دون ذلك من المياه" أي: جعلوها غائرةً وردموها بالتراب، وحفروا قليباً، والقليب: تُقال للبئر، وملؤوه من الماء فأصبحوا يشربون ولا يشرب الأعداء، ولذلك أحد عتاة المشركين أقسم أن يشرب من ذلك القليب، فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بتركه وقال لهم حمزة:"إن قدم إلينا قتلناه بالسيف"، فخرج حتى اقترب من ذلك القليب، فعمد إليه حمزة بن عبد المطلب وضربه حتى أرداهُ صريعًا، فوجدوا كثير عطش واشتد عليهم الأمر، وظهر هذا الرأيُ جليًّا، وبان للنّاس صوابه في ذلك اليوم، وهذا المثال يبين لنا فرقا مهمًّا فيما يتعلّق بأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو فيما يتعلّق بأمر الرسالة وما يتعلّق بأمر الإمامة، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يتعلق بالإمامة يجتهد فيرى الرأي ولا يلزم من ذلك الإنقيادُ والإستسلام له فيه؛ لأنه رأي، ولأنّه إنّما يجب الإنقياد والإستسلام للوحي، مع أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – أصلا ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى،

ولكن قد يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – الرأي ويرى الصحابة غيره، فيأخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – برأي الصحابة، كما وقع هاهنا وكما سنرى – بإذن الله سبحانه وتعالى – أيضاً أنّه

وقع يوم الخندق لمّا أشار إليه أيضاً سعد بن معاذ فيما يتعلق بالصلح مع غطفان، فإذا كان هذا حال الصحابة مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فكذلك ينبغي أن يكون هذا هو الحال بالنسبة للمسلمين في كل زمان ومكان مع علمائهم ومع كل من يتّبعونه، لأنّه إذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يرى الرأي ويقول الصحابة بخلافه مع أنه – صلى الله عليه وسلم – هو أجزل الناس رأياً، وأيمنهم نقيبة، وهو أعلمهم بالخطط العسكرية، وبالمناهج، وهو أشجعهم، وأذكاهم – صلى الله عليه وسلم-، بل هو الذي يأتيه الوحي من السماء وهو مسدّدٌ في كل ما يفعلهُ، وهو المعصوم أيضاً – صلى الله عليه وسلم –، ولذا كان يُخالف فيما كان من رأيه، فمن كان دونه لاشك أنّه أولى بأن يُخالف فيما كان من رأيه، ولذلك بعيدٌ كلّ البعد عن اتباع السنة مع تحقيق الإيمان الحق الصحيح أولئك الذين يبتعدون عن هذا المنهج، ويقدّمون آراء الناس على سنّة النبي – صلى الله عليه وسلم – مع علمهم أنّها مجرد آراء، فالرأي يبقى رأياً والمُتَّبَع أصلاً هو الوحي فلذلك قال له:"أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ "، فإن كان الأمر رأياً متعلقاً بالحرب والمكيدة فإننا نحاربُ ونكيد ونرى الرأي، وإن كان وحياً منزلاً عليك من السماء فليس لنا إلا الإستسلامُ والإنقيادُ والإتباع والإعتصام.
ولذلك فإنه جاء في حديث تأبير النخل في صحيح مسلم أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لهم:" إن كان ذلك ينفعهم فليصنعوه فإنّي إنّما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظنّ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنّيَ لن أكذب على الله"، فهذا هو الرأي الذي أشار به الحُباب بن المنذر على النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان الماء قريباً من الصحابة الكرام وبعيداً من المشركين، فشرب الصحابة من تلك الأواني التي هي منهم دواني أي: قريبة، وبقي المشركون على عطشهم وفي ورطتهم،
ثم بعد ذلك:

وأقبلت بالخيلاء والكبرياء = إلى المصارع الزحوف الأشقياء
لو طاوعُوا عتبة أو حكيما = أو ابنَ وَهبٍ ما رأوا أليماً
لِكونهم إلى القفول أرشدوا = من بعد ما أشفوا على ما وردوا
الشيخ:
إذاً يقول:
وأقبلت بالخيلاء والكبرياء = إلى المصارع الزحوف الأغبياء
هذه الزحوف: وهي جمع زَحْف و زَحَف، وصفها الناظم بكونها في منتهى الغباء؛ ذلك لأنّها لم تعتبر لما وقع، أوّلاً: خرجت من غير قائد فقد فاتت عيرهم من أرادها، ومع ذلك أيضاً لما نزل ذلك المطر وكان عليهم وحلاً وكان عليهم طيناً ووبالا، وكان على الصحابة أمناً وطهراً وما إلى غير ذلك لم يعتبروا بهذا الأمر، لمّا رجع بنو زهرة أيضاً لم يعتبروا، لما أشار عليهم أبو الحكم -أبو جهل أعني-

عمر بن هشام بعزف القيان وبشرب الخمور وما إلى غير ذلك أطاعوه، فكل هذا لا يكاد يفعله إلا من كان في منتهى الغباء، فلذلك قال إنّها زحوف أغبياء، ثم قال: لو طاوعوا عتبة أو حكيماً = أو ابن وهب ما رأوا أليماً
أي: ما رأوا ممّا رأوه من الآلام التي وجدوا في ذلك اليوم شيئا، وعتبة: هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو أحد سادة قريش ولذلك أيضاً مما يُختبر به التلاميذ في السيرة، أسئلة منها: من هو السيد الذي ما ساد بمال؟ ومع ذلك كان سيداً معترفاً بسيادته، كان فقيراً ولعله لم يسد فقيرٌ غيره، فلم يطلب السيادة إنّما عُرف له ما استحقه من السيادة بما عنده من الرأي وحسن المشورة،

هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وهو والد أبي حُذيفة بن عتبة الذي سنجد أيضا قصته في هذه الغزوة لما نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قتل آله، فعتبة هذا كان قد أشار عليهم من قبل بشيء من الأهمية بمكان ولكنهم أبوا عنه، كما جاء في مصادر السيرة وذكره أيضاً ابن جرير في تفسيره وذكره غير واحد، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لمّا كثر أصحابه خصوصاً بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - خاف المشركون خوفاً شديدًا، وأرادوا نوعاً من الحوار معه - صلى الله عليه وسلم -، فأرسلوا إليه عتبة بن ربيعة وكان أعلمهم بالشعر وبالسحر وبالكهانة، وكان أجزلهم رأياً وكان سيداً من ساداتهم، أرسلوه للنبي - صلى الله عليه وسلم - كما أتفقوا في دار الندوة على أن يرسلوا له أحدهم يكلمه في الأمر، فأتي عتبة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وجلس بين يديه وقال له:"يا محمد إنّك وسيطٌ في قومك"، أي: أنّه رفيعٌ في قومه، الوسيط هو: الرفيع، هو الأمثل، ## هي الخرزة التي تكون في وسط العقد، وعادةً تكون هي الأجمل والأحسن، "ولقد جئتنا بهذا الأمر الذي لم يأتي به أحدٌ قبلك، فسفهت أحلامنا وشتمت آلهتنا وكفرت من مضى من آبائنا، فإن كنت تريد بهذا الأمر الذي جئت به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كنت تريد به سيادةً سوّدناك علينا فلا نأتيَ أمراً حتى نعلم رأيك فيه، وإن كنت تريد به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تصبح أكثرنا مالاً، وإن كنت قد أصابك رئيٌ من الجن بحثنا لك في الطب فلربما غلب الطابع على الرجل حتى يُداوى منه"، فلما أنتهى من كلامه قال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اسمع مني" فاستمع وقرأ عليه – صلى الله عليه وسلم – من سورة فصلت {حم} حتى بلغ قوله – سبحانه وتعالى-: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: 13] فلما بلغ ذلك جعل يده على فم النبي – صلى الله عليه وسلم – ويناشده بالله والرحم أن يكف وأن يسكت، فرجع إلى المشركين في إجتماعهم فما أن رأوه حتى قالوا: والله لقد رجع إليكم أبو الوليد بغير الوجه الذي خرج عنكم به، فلمّا وقف عليهم قالوا له:"ما ورائك يا أبا الوليد؟ "، قال لهم:"يا

معشر قريش، والله لقد سمعت قولاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة" - وقد كان كما أسلفنا أعلمهم بالشعر وبالسحر وبالكهانة -، وفي مرةٍ من المرات اجتمعوا ووقع مثل هذا كما يُروى ذلك في مصادر السيرة للوليد بن المغيرة، وقالوا:"إنه شاعر"، وقال لهم:"أنهم سمعوا شعر الشعراء ووالله ما هو

بشاعر"، فقالوا:"إنه كاهن"، فسيشيعون أنه كاهن، قال لهم:"والله لقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم، ووالله ما هو بكاهن"، قالوا:"إنهم سيقولون أنه كاذب"، فقال لهم:"إنهم والله لقد عرفوه فيهم صغيراً، ووالله لقد كان عندهم صادقاً أميناً وما هو بكاذب"، فقالوا له:"لعله سحرك بكلامه، فكأنك أتبعته"، فعندما فتنوه في ذلك فكّر وقدّر {ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} [المدثر: 20] – نسأل الله السلامة والعافية -، وكان يقول لهم: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر: 25] بسبب كبريائهم وخيلائهم، وبسبب جبروتهم – نسأل الله الهداية والرشاد -، لمّا رجع إليهم قال لهم:"والله سمعت قولاً ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني وأجعلوها لي، خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه، فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت منه خبر، خلوه وما هو فيه، فإن أصابته العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر عليها فملكهُ ملككم وعزّهُ عزّكم وكنتم أسعد الناس به، ولقد أنذركم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود، ولقد علمتم أنّه إذا قال لم يكذب"، وأراد الدخول في الإسلام ولكنّ أبا جهل عمر بن هشام صدّهُ عن ذلك، وطالما صدّ أبو جهل أُناساً عن الدخول في الإسلام – نسأل الله السلامة والعافية - ، في هذا اليوم أيضاً عتبة بن ربيعة أشار عليهم برأي، فقال لهم: "إنهم قد نجت عيرهم ورجعت إليهم أموالهم، وأشار عليهم سيدهم أبو سفيان صخر بن حرب بأن يرجعوا وأن لا فائدة من القتال بعد ذلك فإن عليهم الرجوع"، فقال أبو جهل:"إن سحر عتبة انتفخ فإنه قد جبُن وخاف"، لكنّ الأخنس بن شريق قال:"اجعلوا جبنها علي فارجعوا"، فرجع بنو زهرة، حكيم بن حزام هو الآخر رجع وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – أشار عليهم بالرجوع وأن يرجعوا، وكذلك ابن وهب: عُمير بن وهبٍ الجُمحي أشار عليهم هو الآخر بالرجوع، فلم يرجعوا، وكان النبي –

صلى الله عليه وسلم – يقول:" إن يُطيعوا صاحب الجمل الأحمر يرشدوا"، يعني: عتبة بن ربيعة هذا، وكان ابنه أبو حذيفة بن عتبة يطمع في دخوله الإسلام بسبب جزالة رأيه ويمن نقيبته، وما عرف فيه من الدهاء والفطنة والعقل والحذاقة، ولذلك لما رآه طريحاً قتيلاً ذلك اليوم ندم أيّما ندم، فسأله النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك، فأخبره بما كان يطمعُ فيه من دخوله في الإسلام.
فأبى المشركون إلّا القتال واستعدوا لذلك وبدأت المعركة كما سنرى – بإذن الله سبحانه وتعالى – فيما تبقى من أبيات هذه الغزوة، وقد عقدها الناظم في أكثر من مائة بيت؛ لأنها غزوةٌ عظيمة، فيها الكثير من روائع القصص، وفرائد الفرائد، وفيها الفوائد الجمّة الكثيرة، ناهيكم عمّا فيها من الفقه المتعلّق بدعوة النبي – صلى الله عليه وسلم– وقتاله وجهاده وما إلى غير ذلك، نسأل الله – سبحانه وتعالى – أن ينفعنا بما علمنا وأن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا هداةً مهديّين لا ضالين ولا مضلين، فمن كان منكم سائلاً أو ## أو ملاحظاً أو معقباً أو مستشكلاً فليتفضل مشكوراً.

السائل:

########

الشيخ يجيب:

بسم الله وصلى الله وسلم على رسول الله،

نعم أمّا قوله – صلى الله عليه وسلم – لما قدم سعد بن معاذ – رضي الله عنه – على حمار، وقال لهم:"قوموا إلى سيدكم "، فإن للعلماء أقوالاً في هذا الحديث كما هو معلوم، فمن أهل العلم من قال أنه إنّما يعني بذلك الأنصار فهو سيدُ الأنصار، ومن أهل العلم من قال إنه إنما سوّده النبي - صلى الله عليه وسلم - على الجميع، وما يعني إذا ما كان سيدهم أنّه

أفضلهم كما هو معلوم، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – أمّر كما هو معلوم أسامة بن زيدٍ على جيشٍ من الصحابة كما عند البخاري وغيره، وكان فيهم كبار الصحابة كأبي بكرٍ وعمر، مع أن أسامة بن زيدٍ كان حِبّ النبي – صلى الله عليه وسلم – وابن حبّه، ومع أن عمر بن الخطاب صح عنه أنه لما كلمه ابنه ابن عمر عبدالله بن عمر في العطاء فيما يتعلق في أسامة بن زيد، قال:"إنّه كان أحب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أبيك"، ولكن هذا لا يعني أبداً أن أسامة أفضلُ من عمر أو أفضل من أبي بكرٍ – رضي الله عنهما -، فالسيادة قد تكون لها معاني، فالمعنيُ بها هنا والراجح -والله سبحانه وتعالى أعلم- المنقبة، هذه منقبة وفضل أعطاه النبي – صلى الله عليه وسلم – لأسامة بن زيد، كما قد نجد لسعد بن معاذ، كما قد نجد مناقب كثيرة يعطيها الله – سبحانه وتعالى – لبعض الصحابة، فنجد أن حنظلة بن أبي عامر غسله الملائكة ولم يقع هذا لغيره، ونجد أن عاصم بن عدي حماه الدبر ولم يقع ذلك لغيره، ونجد أن خُبيب بن عدي – رضي الله عنه – ابتلعته الأرض، وكان أصحابه من قومه يفتخرون بذلك ويقولون إن الشهداء يدفنهم أهلهم أما خُبيب بن عدي فقد تولى الله – سبحانه وتعالى – دفنه، فمثل هذا كثير، خزيمة جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – شهادته بشهادتين، وهذه منقبة فشهادته أكبر من شهادة أبي بكر وعمر، ولكنّه لا يدل أبداً هذا على أنه أفضل منهما والله – سبحانه وتعالى – أعلم، فسيادة سعد بن معاذ من أهل العلم من قال أنها تخص الأنصار، ومن أهل العلم من قال إنها للجميع وأنها أشمل على كونها منقبة، وهذا قد نتكلم عنه – بإذن الله – في كلام الناظم:

واحتملوا سعداً على حمار

فإنه ذكر هاهنا ما يتعلق بهذه السيادة.

السائل:

(صوت غير واضح)

الشيخ يجيب:

إذاً البدوي قاله في الغزوات في غزوة بني قريظة،

وحملوا سعداً على حمار

يقول بعد ذلك:

وعندما انتهى إلى الندي = سودهُ خيرُ بني لؤي

على الجميع أو على الأنصار

وسنجد ذلك – بإذن الله -.

السائل: #####

الوليد بن المغيرة الله تعالى أعلم لا أتذكر هل شهدها أم لم يشهدها.

السائل: ####
الشيخ يجيب:
سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – شيء، والأحكام التي تتنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – شيءٌ آخر، فالمراحل التي تمر بها دعوته، أو يمر بها جهادهُ – صلى الله عليه وسلم – هذا شيء، وأوامر الله – سبحانه وتعالى– هي التي ينقادُ لها النبي – صلى الله عليه وسلم -، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابةُ الكرام ما تركوا القتال في مكة لأنّهم ليست عندهم قدرة أو لأنّهم ليست عندهم آنذاك دولة وإنما تركوه لأن الله – سبحانه وتعالى – قال لهم: {كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [النساء: 77]، فهم يمتثلون أمر الله –

سبحانه وتعالى -، فلمّا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة نزل عليه قوله – سبحانه وتعالى -: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: 84]، ومن هنا قال بعضُ أهل العلم إنه يجب على المرء أن يقاتل أعداء الدين وإن كان وحده، وقوله – سبحانه وتعالى -: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: 84]، وهذا إنّما نزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد أن أتى المدينة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – لما هاجر لم يكن قد هاجر أيضاً بإختياره، من المعلوم أنّه أذن لصحابته بالهجرة وبقي مع أبي بكر كما في صحيح البخاري وغيره وكان يقول:" أنه ينتظر أن يأذن له الله – سبحانه وتعالى – "، فأذن له بالهجرة ثم لمّا جاء المدينة أُذن له في القتال، ثم أمرهُ بعد ذلك وأسّس النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الدولة، وكملُ بذلك دين الله – سبحانه وتعالى –، ثم علمنا من خلال هذا الدين أنّ المرء عليه أن يفعل كل ما أمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – ما استطاع إليه سبيلاً، وأن يبتعد عن كل ما نهى عنه النبي – صلى الله عليه وسلم -، ولذلك إن كان هذا صحيحاً فلم لا نطبقه إلا في الجهاد فقط؟! فبإمكاننا أن نقول إنّه إذا دخل الواحد منّا الإسلام فإنّ عليه أن لا يصلّ ّي حتى يمضي إحدى عشرة سنة يربي نفسه على الإيمان؛ لأنّ الصلاة لم تفرض على النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا ليلة الإسراء في السنة الحادية عشرة من بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم -، فإذا دخل المرءُ الإسلام هذه الأعوام التي أمضى النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو فيها إلى التوحيد وإلى الإيمان ونربي الناس عليها وإذا أمضى ذلك لا نأمره بصلاة ولاصيام إلا بعد ذلك بأعوام بأربعة أعوام تقريباً؛ لأنّ الصيام كما هو معلوم فُرض في السنة الثانية من هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – أي خمسة عشر عاماً بعد بعثته – صلى الله عليه وسلم –، بعد ذلك يصوم وهكذا، فما الذي جعلنا لا ## فقط إلا عن الجهاد؟! الصوم فرض في المدينة فُرض بعد أن أقام النبي – صلى الله عليه وسلم– دولته، قبل أن تُقام دولة الإسلام في مكة، لا يوجد صوم ولا يوجد حج، فما الذي جعلنا فقط نتخلّف على الجهاد لنقول إنّه لا ينبغي

أن يُقام ونترك هذه الأمور، هذا كله من لعب الناس في هذا الزمان، في هذا الزمان ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم سواء كان جهاداً أوصلاةً أو صياماً أوما إلى غير ذلك، وما نهيتكم عنه فاجتنبوا، لا نستطيع أن نجاهد نترك الجهاد لا

يكلّف الله نفساً إلا وسعها ولكن أن نقول لم يكلّفنا الله به لا بدّ إقامة الدولة إذا لم يقم هؤلاء الناس الدولة سيعطلوا الجهاد، والجهاد باقٍ ما بقيت التوبة، وباقٍ ما بقيت الهجرة والهجرة باقية ما بقيت التوبة كما جاء ذلك في الأحاديث الكثيرة الصحيحة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –.

السائل: #######

الشيخ يجيب:

الله تعالى أعلم هذه من مسائل ال##، ومن المسائل المعقدة الشائكة، لا شك أن كلامي لن يخرجك إلى نتيجة، على كل حال جمهور أهل العلم الكثرة الكاثرة من أهل العلم تقول أن هذا الطلاق ماضٍ ويقع، وثمة بعض أهل العلم رجحوا أقوالهم وقووه بالكثير من الأدلة والبراهين، قالوا: أنّه لا يمضي وهم متفقون، العلماء متفقون على أنّ هذا الطلاق طلاقٌ بدعيٌ لا يُشرع وصاحبه آثم مخالفٌ لهدي النبي – صلى الله عليه وسلم -، ولكن من العلماء من قال: أنه يمضي ويُعتبر، ومنهم من قال: لا، الذين قالوا إنه يمضي هم الأئمة الثلاثة وكثيرٌ من المتقدمين والمتأخرين، والذين قالوا لا يمضي وهو مرويٌ عن الإمام أحمد بن حنبل وأبي محمد ابن حزم وقد حققه محمد بن علي الشوكاني من المتأخرين وقال به غير واحد، وعلى كل حال هذا الدليل هو القوي، أولاً: لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال كما في الصحيحين من حديث عائشة: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "، أو" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "، ولاشك أنّه ليس من أمر النبي – صلى الله عليه وسلم - الذي جاء به الطلاق في طهرٍ يعني جامع فيه المرأة، يعني الطلاق في الحيض يعني في مدة حيضها، هذا إذا كانت المرأة حائضاً، طلاقها يعتبر طلاقاً بدعياً عندهم،

كطلاقها ثلاثاً في مرةٍ واحدة، واختلفوا في هذا الأخير اختلافاً أيضاً لا يقلُ تفرّعا وتعقيداً عن هذه المسألة، وعلى كل حال يمكنك أن تراجع (زاد المعاد في هدي خير العباد) لابن القيم، فإنه ذكر خلاف أهل العلم في هذه المسألة، وذكر أدلة كل فريق، ورجح وخرج بنتيجة، فيمكنك الرجوع إليها، والله تعالى أعلم.

السائل: ##########

الشيخ يجيب:

من يُعين الكفار على المسلمين بشيءٍ أياً كان ذلك الشيء، يعين الكفار على قتال المسلمين حتى وإن كان يبري لهم قلماً أو يحظر لهم ##، فإن العلماء يكادون يجمعون ويتفقون على أن حكمه حكمهم ولا فرق.

[الشريط الرابع]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين, وعلى آله وأصحابه والتابعيين, ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين, إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله, بلّغ الرسالة وأدى الأمانة, ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين, صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله و أصحابه والتابعين.

أما بعد؛
فإن خير الحديث كتاب الله, وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم, وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة من الضلال أيّاً كان.
اللهم ربنا أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً ولا تجعلنا أتباعه, واجعلنا هداة مهديين لا ضالين ولا مضلين.
هذا؛ وتكلمنا في المرة الماضية عن نزول النبي صلى الله عليه وسلم منزلاً ارتآه صلى الله عليه وسلم ورأى النزول فيه, وأشار عليه الحُبَاب ابن منذر الأنصاري - رضي الله عنه- برأيٍ وامتثل النبي صلى الله عليه وسلم رأي الحباب, وقال: (الرأي ما أشرت به).
وقلنا إن من المشركين من أشار على أصحابه بالرجوع والقفول كعتبة بن ربيعة، وكحكيم بن حزام، وكذلك عُمير بن وهب, فإن هؤلاء كلهم كانوا يشيرون على المشركين من قريش

وغيرها بالرجوع, لأن عيرهم قد سلمت من النهب, ولأن أموالهم قد ردت إليهم, ولأن أبا سفيان أيضًا قد أشار عليهم بالرجوع.
ولكنهم أبوا إلا تكبرًا, هذا رغم ما أشار به بعضهم مما يُنبأ بخطورة الأمر, فإن عُمير بن وهب كان يقول لهم: "إنه يرى البلايا تحمل المنايا", وإنه يرى خروجهم خشية أن أهلها ما كان أحدهم ليموت حتى يقتل واحدًا من المشركين, ثم إنه كان يقول: "إن هؤلاء القوم إن أصابوا من قريشٍ بعددهم فلا خير في العيش بعد ذلك", ولكنه رغم كل ذلك أبى أبو جهل إلا تكبرًا وتبخترًا, وقال إنه سيرد بدرًا وسيرهب العدا, وسيشربون الخمر, وسيأمر المغنيات والقيان بضرب المعازف, وستسمع العرب بعد ذلك بخروج قريش, حتى لا يطمع فيها بعد ذلك طامع, ولا يرجو غزوها غازٍ, وحتى يعطوا للنبي صلى الله عليه وسلم ويلقنوه هو وأصحابه درسًا -على حد زعمهم-.
النبي صلى الله عليه وسلم بات تلك الليلة خير مبيت, كما ذكرنا من أمر إنزال الله سبحانه وتعالى مطرًا, فكان رحمةً ونعمةً وأمنًا على المسلمين, وكان نقمةً وبلاءً على الكافرين, جعل الأرض تحت أقدامهم وحلاً, بينما كانت تحت أقدام المسلمين مطمئنة لينة, وهكذا أصابهم نعاسٌ فأصبحوا نشيطين مستعدين للقتال, بخلاف الكافرين الذين باتوا على ما باتوا عليه من شرب الخمور, ومن الاستماع للأغاني وفعل المجون -نسأل الله السلامة والعافية-.
بات النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة, وكانت تلك الليلة ليلة الجمعة لليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم, بات يدعو الله سبحانه وتعالى, وكان يستغيث بالله سبحانه وتعالى، ووقف النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنب الشجرة، وكان يرفع يديه ويدعو الله سبحانه وتعالى, وكان أبو بكر يكلمه في ذلك ويأبى النبي صلى الله عليه وسلم إلا الإلحاح في الدعاء, وكان يقول: (إنه إن يهلك تلك العصابة

فإنه لن يعبد بعد ذلك في الأرض) ــ كما في الحديث الذي في صحيح مسلم وغيره ــ وكان يقول: (إن هذه قريش جاءت بعدتها وعتادها تُحاد الله ورسوله).

فقام النبي صلى الله عليه وسلم وجعل بعد ذلك لمّا أصبح يسوّي الصفوف.
وقلنا ما كان من أمر القليب؛ وكان أحد المشركين قد قتل, وهو "الأسود بن عبد الأسد" لمّا أقسم أن يشرب من ذلك القليب, الذي جعل المسلمون ليشرب منه الماء ولا يشرب بعد ذلك الأعداء, فلمّا عزم على ذلك تركوه, فما إن اقترب حتى طرده حمزة ابن عبد المطلب -رضي الله عنه- وأرداه صريعًا قتيلاً, فعند ذاك ازداد غضب المشركين، وكان أبو جهل "عمرو ابن هشام" يستنشد ابن الحضرمي الثأر, وابن الحضرمي هو أخو "عمرو بن الحضرمي" الذي قتله المسلمون في سرية "عبد الله بن جحش" في الأشهر الحرم, ولذلك قال الناظم ها هنا -رحمه الله-:

وقال عمروٌ وبأنفه شمخْ *** ثانيةً سَحَرُ عتبةَ انتفخ

لقد ذكرنا ما كان من أمر أبي جهل حينما قال: إن عتبة بن ربيعة إنما جبن وخاف, وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن فيهم صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا) , ولكنهم أبوا إلا مخالفته, وكان ذا رأيٍ وحذاقةٍ واجتهادٍ وذكاء, ولكنه رغم ذلك مات على شركه, فمن يهده الله فهو المهتد, قال:

واستنشد ابن الحضرميّ الثَّأرَا *** فحش حربًا بينهم وشرَّا

أي أن أبا جهل "عمرو بن هشام" وهو عدو الله ورسوله, قام ينادي في الناس, ويقول لابن الحضرمي إن عليه أن يأخذ ثأره وأن يرفع أمر (..) كي ما يأخذها, فقام ابن الحضرمي وكشف عن عورته -نسأل الله السلامة والعافية- وجعل ينادي ويصيح ويدعو للحرب, وعند ذاك فزع الناس وقاموا لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه:

فقام للوليد نجل عتبة *** حيدرةٌ وحمزة لشيبةِ
نجل ربيعةٍ وعتبة أخوه *** قام عبيدة له إذ رشحوه
فقطعت قدمه واحتملوه *** وهو أسنُّ الجيش فيما نقلوه
وهو إذا أخذت في نعم النسب *** عبيدةُ بن الحارث بن المطلب
وشهد المشهد هذا أخواه *** أعني الطفيل والحصين مشبهاه

هاهنا يشير الناظم -رحمه الله- إلى أمر المبارزة؛ والمبارزة أمرٌ مشروع في القتال, وإن كان العلماء اختلفوا في مشروعيتها, فمن العلماء من قال:

- إنها لا تجوز إلا إذا أذن الإمام في ذلك.
- ومنهم من قال: إنها لا تجوز إلا ممن علم من نفسه الشجاعة وفرط القوة.
- ومنهم من قال: أنها لا تجوز مطلقًا.
- والظاهر جوازها لعموم شديد التأسي.

فقام "عتبة بن ربيعة" و"شيبة بن ربيعة" وقام معهما "الوليد بن عتبة بن ربيعة", فلمّا قام هؤلاء الثلاثة قام إليهم عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- وعوفٌ ومعوذ أبناء عفراء, فلما قام هؤلاء الثلاثة وهم من الأنصار, قال لهم القرشيون الثلاثة: من القوم؟ فقالوا لهم: نحن من الأنصار فلانٌ وفلانٌ وفلان, فقالوا لهم: أكفاء كرام, وإنما نريد بني عشيرتنا؛ نريد بني قومنا, وقيل إن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إنما أراد أن يقوم بنو عشيرته, فنادى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حمزة بن عبد المطلب, ونادى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب, ونادى علي بن أبي طالب, فقام هؤلاء الثلاثة: أما حمزة بن عبد المطلب

وعلي بن أبي طالب فلم يلبثا طويلاً مع صاحبيهما, وقُتِلَ شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة, قتلهما حمزة

وعلي ــ رضي الله عنهما ــ أما عتبة بن ربيعة فإنه تبادل الضرب مع عبيدة بن الحارث وجُرح كل واحدٍ منهما, فوثب حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب على عتبة وقتلاه وحُمِل ــ رضي الله عنه ــ كما أشار إلى ذلك الناظم:
وقطعت قدمه واحتملوه *** وهو أسنُّ الجيش فيما نقلوه
حيث روي أنه كان أسنَّ جيش المسلمين آن ذاك, فحملوه ومات ــ رضي الله عنه ــ في موضعٍ يسمى " صفراء" وكان قبل موته ينشد ويقول:
فإن تقطّعوا رِجلي فإنّي مسلمٌ *** أُرجّي بها عيشاً من الله عاليا
ويروى أيضاً أنه لمّا جُرح و قُطعت قدمه كان يقول لنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: ليت أبا طالبٍ حي حتى يعلم مصداق قوله:
كذبتم وبيتِ الله نُبزى محمدًا *** ولمّا نقاتل دونه ونُناضلِ
ونمنعه حتى نُصرَّع دونه *** ونذْهَل عن أبنائنا والحلائل
وهذا من قصيدته التي يقول في أولها:
جَزَى اللهُ عَنّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً *** عُقوبَةَ شَرٍّ عاجِلاً غَيْرَ آجِلِ
وهي التي يقول فيها:
وثَور ومَنْ أَرْسَى ثَبيراً مَكانَهُ *** وَساعٍ لِيرقى في حِراءَ ونازِلِ
وَمَوْطِئِ إبْراهيمَ في الصَّخْرِ رَطْبَةً ***عَلَى قَدَمَيْه حافِياً غَيْرَ ناعِلِ
وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ *** بِمُفْضَى سُيُولٍ مِنْ أسَافٍ وَنَائِلِ

ويذكر فيها أمر تجمع قريشٍ لمحاربة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه, فيما يتعلق بحصار "شعب بني هاشم" حيث حاصر المشركون "بني هاشم" لأنهم كانوا يناصرون النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ, وكان ذلك العامُ عامًا شديداً على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بل كانت تلك الأعوام أعواماً شديدةً عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وناصرهُ فيها "أبو طالب", ولكنه رغم كل ذلك مات على شركهِ "فمن يهده الله فهو المهتد".
وهذه المبارزة إنما دعا إليها المشركون, لمّا قُتِلَ "الأسود بن عبد الأسد" فازداد غضب المشركين, مع ما كانوا عليه من الغضب حينما قُتِلَ الأسود, لأنه قُتِلَ ثلاثةٌ من ساداتهم ومن صناديدهم: "عتبة بن ربيعة" وهو أحد صناديد قريش وهو أحد كُبرائها وشيوخها, وهذا "شيبة بن ربيعة" وهو الآخر أحد صناديد قريش, وهذا "الوليد بن عتبة" لمّا قُتِلَ هؤلاء الصناديد والكبراء ازداد غضب قريش, فأقبلت إلى ما كانت عليه بقوةٍ وشدة تُحاد الله ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقامت المعركة على ساق؛ واشتدت الملحمة, ووقع نوعٌ من القتل للمسلمين, وكان أول من قُتِلَ من المسلمين كما ذكر ابن القيم ــ رحمه الله ــ في "الزاد": عُمير بن الحمام, وقيل إن أول من قُتِلَ من المسلمين: "حارثة بن سُراقة" و"مِهجَع" وهو أحد موالي عمر بن الخطّاب, فلما قُتِلا قام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحرِّض المسلمين, وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: (والذي نفس محمدٍ بيده، لا يقاتلهم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا، مقبلاً غير مدبر، إلا وأدخله الله الجنة) فسمعه عُمير بن الحُمام وكانت بيده تمراتٌ يأكلهن ــ رضي

الله عنه ــ فلمّا سمعه رمى عنه التمرات وقال: "بخٍ بخٍ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء!! " (أصل الحديث في صحيح مسلم)
وفي رواية: أنه صلى الله عليه وسلم قال له: ما حملك على قولك بخٍ بخٍ؟
فقال: والله ما حملني على ذلك إلا رجاء أن أكون من أهلها.
فقال له ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: أنت من أهلها.

فدخل ميدان المعركة وقاتل حتى قُتِلَ واستشهد ــ رضي الله عنه ــ.
سنذكر ـــ بأمر الله سبحانه وتعالى ــ قصته عند ذكر الناظم لشهداء بدر, فإنه عندما ذكر شهداء الخزرج قال:
وستةٌ الخزرجِ هُم يزيدُ *** عوفٌ معوّذٌ أخوه الصّيْدُ
حارثةٌ وابنُ المعلّى رافعُ *** ثم عميرُ بنُ الحُمَامِ النازعُ
لرَبِّهِ وهْوَ يقُولُ أَفَمَا *** بيني وبين جنةٍ إلا الحما
يعني الحمام وهو الموت
هو إذا أخذت ذي نعم النسب *** عبيدة بن الحارث بن المطلب
"الحارث بن المطلب" عم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ـــ فعبيدة هو ابن عم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وها هنا أيضاً مسألةٌ مهمة, لأن هؤلاء القوم إنما بارزوا وقاتلوا عشيرتهم, هكذا سنجد ــ بإذن الله سبحانه وتعالى ـــ أن أبا بكر ــ رضي الله عنه ــ كان حريصًا على قتل ابنه عبد الرحمن, بل سنجد أيضاً أن أبا عبيدة "عامر بن الجراح" التقى بأبيه "الجراح" فلم يرد قتله, ثم وجده بعد ذلك فلم يرد قتله, ثم وجده الثالثة فضرب عنقه, وسنجد أيضًا أن مصعب بن عُمير ــ رضي الله عنه ــ العبسي, سيمرّ على أخيه "أبي عزيز بن عمير" وهو مكبلٌ مشدود الوثاق عند الصحابة الكرام, وهو واقع في الأسر عندهم, ويأمرهم أن يشدوا قيده ووثاقه, لأن عنده أمًا غنيةً تستطيع أن تفديه بمالها, ولذلك يقول كثيرٌ من أهل العلم: إن قول الله سبحانه وتعالى: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ} [المجادلة: 22] يقولون: إن هذه الآية نزلت في هؤلاء {وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ} فيما يتعلق بالآباء فإنه في قصة أبي عبيدة بن الجراح مع أبيه الجراح؛ {أَوْ أَبْنَاءَهُمْ}

فيما يتعلق بأبي بكر أعني مع أبنه, {أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} هي فيما يتعلق بهذه المبارزة, وكذلك {أَوْ إِخْوَانَهُمْ} فإن "مصعب بن عُمير" أظهر لنا أسمى معاني البراء من المشركين.
ثم قال الناظم ــ رحمه الله ـــ:
وشهد مشهدها هذا أخواه *** أعني الحصين والطفيل مشبهاه
ما يعني الناظم هاهنا أنهما قُتلا واستشهدا في بدر, كما استشهد عبيدة بن الحارث ــ رضي الله عنه ــ , وإنما يعني أنهما دخلا الإسلام قديماً, وهكذا شهدا المشاهد مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشهدا أيضًا بدرًا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكنهما لم يقتلا في هذه الغزوة, ولذلك يسأل أهل السيرة كثيرًا التلاميذ عن ثلاثة إخوة شهدوا بدرا, لم يشهد بدراً إخوة ثلاثة سواهم فهم: الطفيل والحصين وعبيدة وهم أبناء "الحارث ابن المطلب" عم النبي ــ صلى الله

عليه وسلم ــ.
وابن غَزيَّةٍ سواد استنتلا *** عن صفة ورامَ أنْ يعتدلا
نبينا فمسه كشْحِه *** وقال إذ آلم مس قِدحه
أوجعتني نخساً فأعطني القود *** وجدّ في أنْ كان باشرَ الجسد
هذه القصة ذكرها غير واحدٍ من أهل السيرة؛ كابن هشام وكابن سيد الناس وغير واحد من السّيريين, فإن "سواد بن غزية البلوي" كان مستنسلاً أي (خارجًا ومتقدماً عن الصف) , فلما رآه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مسه في كشحه, والكشح يقال للبطن أو هي: منطقة قرب الخاصرة, مسه بقدحٍ كان في يده ــ صلى الله عليه وسلم ــ والقدح تقال للسهم قبل أن يُراش وأنْ يجعل في النصل, فلّما مسه قال له: يا رسول الله لقد أوجعتني, وقد بعثك الله بالحق والعدل؛ فأقدني أي: (أعطني القَوَد) أي أعطني القصاص.

فقام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكشف عن بطنه وقال له: خُذ القود, وما إن رأى ذلك من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى بكى بكاءًا شديدًا, وجعل يُقبل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ , فقال له: ما حملك على هذا يا سواد؟! فقال ــ رضي الله عنه ــ: يا رسول الله, لقد حدث ما ترى, فأردت أن يكون آخر عهدي بك أن يمس جلدي جلدك, فقام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال له خيراً ودعا له بخير, ومن المعلوم أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يسوّي الصفوف قبل ابتداء المعارك, ذلك لأن الله سبحانه وتعالى كما قال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف:4]؛ فالله سبحانه وتعالى يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً لا اعوجاج فيه, وإنما تكون صفوفهم واحدةً مستقيمة, فكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ذلك الأساس يسوّي الصفوف, ولكنه كان يفعل ذلك بكل لين وبكل وقارٍ وسكينة, وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يفعل ذلك بأنبل خُلق وبأكرم سجيّةٍ على الإطلاق, ولذلك لم يكن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعرف ما يفعله كثيرٌ من الناسِ في هذا الزمان, ولا غرابة فإنه عندما يكون أولئك الجنود مستظلين تحت ظل رايةٍ ليست من الإسلام في شيء, ولا غرابة أن نجدهم مبتعدين عن هدي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الطاهر, وعن شمائله الكريمة, وسجاياه الحسان, ولذلك عندما يقول جنديٍ لمن هو أعلى منه مرتبةً ولو بالقليل مثل هذا القول, فكان من السهل عليه واليسيرِ عليه أن يضربه ضرباً مبرحاً, إذا لم يجعل الرصاصة في رأسه, ولكن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان أبعد.

[الشريط الخامس]

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين, وعلى آله وأصحابه والتابعين, ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين, إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله, بلّغ الرسالة وأدى الأمانة, ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين, صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين, أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله, وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم, وشر الأمور محدثاتها, وكل بدعة ضلالة ـــ نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة من الضلال أيًّا كان ـــ, تكلمنا في المرة الماضية عن مدح الله سبحانه وتعالى الذي جعله للمؤمنين يوم بدرٍ, حيث أنزل الله سبحانه وتعالى ملائكته, وشاركوا في هذه المعركة مشاركةً فعليةً, فكانوا يضربون أعناق الكافرين, وكان المسلمون من أصحاب النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يرون ذلك بأعينهم, هكذا وقع النصر ووجد المشركون شر هزيمة, فوقع في الأسر منهم سبعون من المشركين, وقُتِل سبعون, ووفر أصحاب النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بمغانم كثيرة, تنازعوا في أمرها, وكان ذلك السبب في نزول سورة الأنفال, كما أنهم تنازعوا أيضًا فيما يتعلق بالأسرى, ولذلك وقفنا عند قول الناظم:

وابن معاذٍ مبتني العريش *** وحارس النبي من قريش
يكره إبقاء الأُسارى ويرى *** إهلاكهم أوَّل أمرٍ أجدرا

فإنه كان يرى أن عليهم أن يقتلوا المشركين, لأن ذلك كان يراه الصحابة مُعبدًا على القتال, وكانوا يرونه أيضًا أدعى إلى الشهادة, وقد رأى هذا الرأي سعد بن معاذ ـــ رضي الله عنه ـــ "سيد الأوس وسيد بني عبد الأشهل", وكان يراه أيضًا عبد الله بن رواحة ـــ رضي الله عنه ـــ, وكان يراه أيضًا عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ , سعد بن معاذ ـــ رضي الله عنه ـــ أشار إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـــ بأن يقتل الأسرى؛ لأن ذلك يدعو إلى مقاتلة قريش فيما بعد, أما عبد الله بن رواحة ـــ رضي الله عنه ـــ فإنه قال لنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: اجمعهم واجمع لهم حطبًا ثم حرّقهم في النار, أما عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ فإنه قال: هؤلاء قومك قاتلوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم, أما أبو بكر رضي ـــ رضي الله عنه ـــ فإنه كان يقول له: بأن يعفو عنهم وبأن يصفح, فلعلهم أن يدخلون في الإسلام, هذا قول أبي بكر ـــ رضي الله عنه ـــ, ونزل القرآن ووافق رأي عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ, كان هذا من موافقاته كما أشار الناظم ـــ رحمه الله ـــ إلى ذلك:

وهكذا عمر كان وهي من *** موافقاته التي بعد تعنّ

والأسرى في الإسلام لهم أحكامٌ معلومة, فإنه إذا ما وقع المشركون في الأسر, فإن المسلمين مخيرون بين أمور: فإذا ما قتلوهم فإن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قد فعل ذلك, ويتأكد هذا عندما يكون المشركون الواقعون في الأسر شديدي الأذى للمسلمين, ولذلك قتل النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في هذه الغزوة ثلاثة من المشركين صبرًا ـــ أي أنه قتلهم في الأسر ـــ.

قتل في الأسر: النضر بن الحارث, والمُطعِمَ بن عديَّ بل طعيمة بن عديَّ, وهو أخ المُطعِمَ بن عديّ, وقتل أيضاً أمية بن خلف, فهؤلاء كانوا كثيري العداوة لنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولذلك قتلهم النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في الأسر, عقبة بن أبي معيط

كان أيضًا من الذين قتلوا يوم بدر لمّا وقعوا في الأسر, فهؤلاء روى أبو داود ـــ رحمه الله ـــ حديثهم مرسلاً, وأورده أيضًا ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ في "بلوغ المرام" وفيه كلام, ولكن عامة مصادر السيرة تذكر أن النبي ـــ صلى الله عليه

وسلم ـــ قتل هؤلاء الثلاثة لمّا وقعوا في الأسر.
وكذلك في إمكان المسلمين الفداء, وقد وقع مثل هذا في هذا اليوم لأنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أمر المشركين الذين وقعوا في الأسر بأن يفدوا أنفسهم, فمن قدم منهم فداء لنفسه فإنه يفك بذلك قيده ويطلق سراحه, أما من لم يفعل ذلك فتضرب عنقه, كما ذكر ابن اسحق في "السيرة" عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ , ويمكن أيضًا المبادلة, فإذا ما وقع أسيرٌ من المسلمين عند المشركين فإن بإمكان المسلمين مفاداته بالمشرك الذي عندهم, يمكنهم أن يطلقوا سراح المشرك الواقع في أسرهم, كيما يطلق المشركون سراح ذلك المسلم المأسور عندهم, وقد وقع هذا أيضًا في حياة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ, حيث فدى أحد المسلمين بمشركين, فقد أورد أيضًا ذلك الحديث الحافظ بن حجر في "بلوغ المرام", وأصله عند أهل السنن وقد جاء مرسلاً ومنقطعًا.
وكذلك أيضًا بإمكان أن يمنَّ عليهم, وأن يعف ويصفح عنهم, وقد فعل النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ذلك, كما قال أيضًا ما يدل على ذلك , كما في صحيح البخاري لمّا أتى جُبير بن مطعمٍ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال: (لو كان مطعم بن عديَ حيًّا وكلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له).
فالأسرى في الإسلام إذا ما أراد المسلمون قتلهم فلهم ذلك, خصوصًا إذا ما كانوا شديدي الأذى للمسلمين, وإذا ما كان قتلهم يشكل نكايةً وإغاظة للمشركين فإن قتلهم أجدر, وهكذا بالإمكان العفو والصفح عنهم, وهكذا بالإمكان مفاداتهم, كما بالإمكان أن يقبل منهم أو من ذويهم الفداء, وكل ذلك فُعِل على عهد النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ,

والصحابة إنما تنازعوا يوم بدر في مسألة العفو عنهم أو القتل, كما أنه أيضًا بالإمكان شقاقهم, وهم من الغنيمة كما هو معلوم, ويقسمون كما تقسم الغنيمة ـــ كما سنرى بإذن الله سبحانه وتعالى ـــ عندما يقسمون فإنهم يشاقون كما هو معلوم, تنازع الصحابة هاهنا هل ينبغي أن يقتل الأسرى؟ لأن المشركين من قريش قد بدؤوهم بالقتال, وقد أرهقوهم وآذوهم أيّما أذى, وأخرجوهم من ديارهم, ونهبوا أموالهم, وفرقوا بينهم وبين أهليهم, فإنهم كانوا يرون أن عليهم كما فعلوا بهم كذلك أن يقتلوهم, ومنهم من رأى أن هؤلاء عشيرة وأنهم قوم, وأنهم لربما إذا ما كان يُعفى عنهم, لربما دخلوا في الإسلام كما هو رأي أبي بكر ـــ رضي الله عنه ـــ فدعا هؤلاء إلى العفو, ولمّا خرجوا كان بعض الصحابة يقول برأي أبي بكر, وبعضهم يقول القول ما قال عمر, حتى نزل القرآن على النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ووافق القرآن في ذلك عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ في قوله سبحانه وتعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال:67]، فأُمر النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مبينًا في هذه الآية بالإثخان وبقتل المشركين, فكان ما أراد عمر بن الخطاب وامتثل النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ذلك الأمر, ولكن أيضًا وقع الفداء لأن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عرض على كل واحدٍ من المشركين أن يحدد عشرةً من المسلمين وسنرى ذلك ـــ بإذن الله سبحانه وتعالى ـــ عند كلام الناظم عما يتعلق بأسرى بدر:
وابن معاذٍ مبتني العريش *** وحارس النبي من قريش

يكره إبقاء الأُسارى ويرى *** إهلاكهم أوَّل قتلٍ أجدرا
ابن معاذ هو سعد بن معاذ ـــ رضي الله عنه ـــ وقد تكلمنا عنه في مراتٍ ماضية, وقد ابتنى للنبيِ ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عريشًا, و "العريش" هو ما يُبنى في الحرب عادةً لِيُستَظَل به, وقد بُني ذلك للنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وكان يستظل به ـــ صلى

الله عليه وسلم ـــ مع بعض أصحابه الكرام, ولم يكن ذلك يُبنى للنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من قبل, ولكنهم استفادوه من بعض الأقوام, كانوا يبنون العريش في قتالهم وفي معاركهم, فأمر النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ببنائه لمّا استشاره بعضهم وارتآه عليه غيرهم, فبناه سعد بن معاذ ـــ رضي الله عنه ـــ.

وحارس النبي من قريش ***
أي أن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان يحرسه من قريشٍ ومن سائر المشركين "سعد بن معاذ", وكان معه أيضًا بعض الغلمان, ومن المعلوم أن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان يأخذ الحراس, ولكن لمّا نزل قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: 76] ترك عنه الحرّاس, ولذلك حرسه في هذا اليوم سعد بن معاذ, وحرسه أيضًا معه بعض غلمان الأنصار, ولذلك يقول عبد العزيز اللمطي ـــ رحمه الله ـــ في نظمه المعروف "قرة الإبصار":
حرسَه في يوم بدر سعدُ *** فتى معاذٍ وامرؤان بعدُ
إلى أن يقول:
فترك الحُرَّاسَ لما أُخبرا *** بعصمة الله له خيرُ الورى
ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فمنع عنه بعد ذلك الحرّاس, ثم يقول الناظم:
عن قتل آله نهى إذ خرجوا *** وفي خروجهم عليهم حرجُ
نهى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عن قتل آله, ذلك لأن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عَلِمَ بأمر الله سبحانه وتعالى أن من أهله من خرج مكرَهًا, ولم يكن يريد قتاله, فلما خرج أولئك وما كانوا يريدون قتال النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لذلك نهى عن

قتلهم لأنه كان يعلم أن في خروجهم حرجٌ لهم, وإنما استُكرهوا على الخروج فخرجوا, ولذلك نهى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عن قتالهم, إلا أن بعض أصحاب النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لم يرَ ذلك, لقد وقع مثل ذلك من أبي حذيفة بن عتبة بن رابعة ـــ رضي الله عنه ـــ, كان يقول ـــ رضي الله عنه ـــ: (نقتل آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا, ونترك عم النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ, والله لئن ظفرت به لأضربن عنقه) , فقام النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ, وقيل أنه دعا عمر بن الخطاب ذلك اليوم وقال له: يا أبا حفص حتى أنه يذكر أن عمر بن الخطاب قال: إنه أول يوم يناديه النبي بهذه الكنية بـ "أبي حفص" فذكر له: بأنه ينبغي أن يطاع ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وذكر أن أهله إنما خرجوا مستكرهين, فقال عمر لنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: دعني أقطع عنقه لقد نافق, يعني أبا حذيفة ـــ رضي الله عنه ـــ, فكان أبو حذيفة ـــ رضي الله عنه ـــ يقول: (والله لا زلت أعمل لتلك الكلمة أعمالاً) , ولم يزل ـــ رضي الله عنه ـــ

يكثر الصلاة ويكثر الصيام ويكثر الذكر ويكثر الحج ويكثر أيضًا الاعتمار ويكثر خصوصًا الجهاد في سبيل الله, لعله يكفّر عنه تلك الهفوة وتلك الزلة التي وقعت منه ــ رضي الله عنه ــ عمل لها أعمالاً؛ ولذلك قال الناظم هاهنا:

وإذ نهى عن قتل آله هفا *** أبو حذيفة وقال سخفا
وكفرت هفوته الشهادة *** يوم اليمامة لها أرادة

أي أنه رزقه الله سبحانه وتعالى بالشهادة يوم اليمامة, يوم اجتمع أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقتال المرتدين بقيادة مسيلمة الكذاب الحنفي, في حديقة الموت في حروب الردة المعلومة المعروفة, وكان يوم اليمامة يومًا عظيمًا, ذلك لأنه أُصيب فيه الكثير من المسلمين, لذلك هو من الأيام التي قُتل فيها سبعون من المسلمين, وقد نظم في ذلك "البدوي" ولكن ليس في هذا النظم وإنما في نظمه في "أنساب العرب" قال فيه:

أُصيبت الأنصار يوم أُحدِ ***

إلى أن يقول:

أبو عبيدة الشهيد *** سبعينَ سبيعنَ بلا مزيد

ففي هذه الأيام يوم أحد ويوم اليمامة, ويوم جسر أبي عُبيد, واليوم الرابع هو يوم البعث الذي بعثه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى بئر معون, هذه الأيام أُصيبت الأنصار فيها بسبعين, من تلك الأيام يوم اليمامة الذي قُتل فيه أبو حذيفة ــ رضي الله عنه ــ شهيدًا كما قُتل فيها غيره من أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ, المعنى أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عَلِمَ بأمر الله سبحانه وتعالى أن من آله من خرج لا لقصد القتال, وإنما خرج مكرهًا على القتال.

وها هنا فائدة عظيمة: هو أن الأصل أن كل من خرج لقتال المسلمين وهو من صف المشركين, يحكم له بحكم المشركين الذين خرج معهم, لأن من المعلوم أن أسمى وأعلى مراتب الموالاة هي الإعانة, ومن المعلوم أن من كان المرء يعينه بنفسه, وببذل مهجته للقتال في صفه, لا شك أنه يواليه أيّما موالاة, فلذلك تقرّر عند العلماء عامة: أن من خرج مع المشركين عامةً في صفهم يقاتل المسلمين, بأنه كافرٌ كفرهم, ومشركٌ شركهم, وفاعلٌ فعلهم, لقول الله سبحانه وتعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:51] ولا فرق؛ فقد ذكر ابن جرير ــ رحمه الله ــ المعنى عند تفسيره لهذه الآية من سورة المائدة , وذكره ابن كثير, وذكره غيرهما من المفسرين.

ويستثنى أمرٌ واحد: هو من خرج وعُلِمَ أنه خرج مكرهًا, أو خرج جاهلاً جهل الحال, أي جاهلاً أنه إنما يقاتل المسلمين ويقاتل في صف المشركين, وهذا لربما كان من الندرة بمكان , أو خرج أيضًا عنده نوع تأويل, ولكن يشترط في كل هذا ألاّ يقاتل, حتى إذا ما خرج

المسلم في صف المشركين مكرهًا, فإنه يحرم عليه أن يقاتل باتفاق المسلمين, لأن الإكراه بالإجماع لا يبيح له أن يقتل مسلماً , ثمة مسائل لا تباح بالإكراه.

يباح بالإكراه الشرك بالله, سواءً كان ذلك بالقول أو الفعل, من أُكره على كلمة الكفر قالها, ومن أُكره على فعل الكفر جاز له أن يقوله, والأفضل له الصبر حتى يموت على ذلك, كما وقع لعمّار بن ياسر ومن غيرهم من صحابة النبي ــ صلى

الله عليه وسلم ــ المستضعفين, ولكن لا ينبغي له أبدًا أن يقاتل, فإنه بقدر ما قاتل بقدر ما تحقق كفره, وبقدر ما استحق أن يقتل ــ نسأل الله السلامة والعافية ــ.
ولذلك لا بد من إدراك ذلك الأمر, لأنه إنما يدفع وهو مُكره عن نفسه, ومن المعلوم أنه لا ينبغي أن تكون أنفس المسلمين أرخص عنده من نفسه, وهكذا إنما يفعل بالإكراه ما يفعل حبًّا لنفسه, ولا ينبغي أيضًا أن تكون نفسه أحبَّ عنده من أنفس المسلمين, فلذلك إذا ما أُكره المسلم على الإيقاع بمسلم فلا يشرع له ذلك, وإذا ما أُكره على قتل مسلم فلا يشرع له ذلك, وهكذا إذا ما أُكره على شرب الخمر أو أُكره على الزنا, فإنه لا يشرع له ذلك.
وهذه المسائل الثلاثة؛ أجمع العلماء كما ذكر ابن المنذر وذكر النووي وغيرهم, الإجماع على هذه المسائل الثلاثة لا ينبغي فعلها, وإن كان المرء مكرهًا, ثم إذا ما خرج المرء مع المشركين في صفهم لقتال المسلمين, وكان ثمة احتمال أن يكون المرء مكرهًا, أو جاهلاً بالحال, أو متأولاً نوع التأويل, فإن هذا الخروج وهذا الاحتمال معه مما لا ينبغي أن يصرف به الحكم الظاهر عن فاعله, والدليل على ذلك كما ذكر شيخُ الإسلام وغيره واحد, في مسألة التتار, ومن المعلوم أنه لربما خرج فيهم بعضُ الناس من المستكرهين وغيرهم, ولكنه أفتى بقتل الجميع, ذلك لأنه في الصحيحين وغيرهما نقرأ حديث عائشة: أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذكر أنه يغزو جيشٌ الكعبة, هذا الجيش يخسف بأوله وآخره ــ كما هو معلوم ــ, ثم إنه سُئل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذكر له أن فيهم ساقة القوم ــ

يعني الجهلة ـ , وأن فيهم من خرج مُكرهًا, فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (يُبعثون على نياتهم).
فإذا ما خرج بعضُ الناس في جيشٍ يدافعون عن رايةٍ طاغوتيةٍ, أو يقاتلون في صفوف كفار, حتى وإن كنا نرى أن من بين أولئك الذين يتزيّون بزيّ المسلمين, من يوجد فيه احتمال أنه قد يكون مُكرهًا أو جاهلاً أو ما إلى غير ذلك, فإن هؤلاء لا يسقط عنهم أنهم بحكم الجيش الذي خرج للقتال, وإن هذا الاحتمال إنما يسقط الحكم عليه في الباطن فقط, ولكنَّ حكمه الظاهر هو أن يحكم له بأنه خرج مع الكافرين وأنه منهم, أما في الباطن فإن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: (يُبعثون على نياتهم).
ومما يؤكد هذا؛ ما جاء عند البخاري وغيره, في قصة العباس ــ رضي الله عنه ــ لمّا أتى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن المعلوم أنه في رواية أحمد, وقد ذكرها ابن حجر في كتابه "فتح الباري" , وأوردها أيضًا ابن اسحق موصولةً, وذكرها غير واحد, أن العباس بن عبد المطلب قال للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (إني كنتُ مسلمًا) وفي رواية أنه قال: (إنما خرجتُ مُكرهًا ولم أقتالكم) فقال له النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (ظاهرك أنك كنتَ علينا).
ففي هذه الحالات إنما يجبُ علينا أن نعامل بالظاهر, كما أن في هذه القصة فائدةٌ مهمة, وسنتكلم عنها عندما نذكر أبيات الناظم هذه, فإنه قال:
وعن أبي البختري إذ لم يُؤذه *** وصكُ نبذهم سعى في نبذهِ
أي أنه نهى عن قتل آله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومنهم العباس, ونهى عن قتل أبي البختري بن هشام, ومن المعلوم أن أبا البختري كان من الذين ساهموا في

نقض الصحيفة, التي اجتمع عليها المشركون من قريش, لمقاطعة بني هاشم, الذين كانوا يناصرون النبي ـــ

صلى الله عليه وسلم ـــ وكان ذلك اليوم شديدًا على النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ, وقد عُرف ذلك العام بعام الحزن, لما ماتت به خديجة بنتُ خويلد ـ رضي الله عنها ـ كما هو معلوم.
هذه الصحيفة شارك في نقضها أبو البختري بن هشام, أعانه عليه أيضًا أجار بعض أصحابه, وهكذا أيضاً المطعمُ بن عديّ النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ نهى عن قتله, واعترف له بالجميل, كما في حديث جرير ابن مطعم ـــ رضي الله عنه ـ الذي مرَّ بنا, وهكذا أيضًا الزُهير, وغيرهم من الذين ساهموا في نقض الصحيفة, أو الذين لربما أجاروا النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ
في يومٍ من الأيام, أو أجاروا سعد بن أبي معاذ, أو غيره من الصحابة الذين كانوا يجدون
على مكة, هؤلاء نهى النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عن قتلهم, اعترافًا منه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لهم بالجميل, لكن هذا النهي منه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لا يتناول من منهم قاتل, وإنما يتناول من خرج منهم مُكرهًا وقد عُلِمَ منه ذلك ولم يقاتل, أو يتناول من له سابق إحسانٍ على المسلمين, ولكنه لم يقاتل في صف المشركين في ذلك اليوم, أما من قاتل فإنه يقاتل كما هو معلوم: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة:36] , هذا في كل المواضع؛ حتى في أشرف بقاع الله سبحانه وتعالى, حتى إنه في البيت الحرام لا بد أن نقاتلهم, ولكن إذا ما قتلونا فإننا نقتلهم كما أمر بذلك الله سبحانه وتعالى.
وقال:
وجاءه المجذر بن ذياد *** وقال: عنك قد نهى خيرُ العباد
فقال: والزميل؟ , قال: المصطفى *** لم ينه عن قتل الزميل الحنفا

فقال: والنخوة تأبى والإبا *** عن تركه جبنًا وحكم الظبا
لا يسلم ابن حرةٍ زميله ***حتى يموت أو يرى سبيله
ها هنا ذكر لنا قصة "المجذّر بن ذياد البلوي" ـ رضي الله عنه ـ أحد خلفاء الأنصار, لما أتى البختري قال له: أما أنت يا أبا البختري فإن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ نهانا عن قتلك.
فقال له: والزميل؟ ـــ يعني رديفه, الزميل تقال للرديف وللصاحب وللرفيق ـــ قال له والزميل؟ قال: إنه لم ينهنا النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عن قتله.
فقام أبو البختري بن هشام وأنشد:
لا يسلم ابن حرةٍ زميله ***حتى يموت أو يرى سبيله
ثم قال: والله لا تتحدث نساء مكةَ؛ أن أبا البختري ترك صاحبه حرصًا على حياته, فجعل يقاتل فضربه المجذّر بن ذياد ـ رضي الله عنه ـــ ضربةً فأرداه صريعًا, ثم أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره بخبره, وأن لم يرد قتاله, فلم يلمه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك.
والمسلمون يعرفون أهل الجميل بجميلهم, ولأهل الإحسان بإحسانهم, والله جل وعلا يعلمنا في القرآن ويربينا على أنبل وأشرف مكارم الأخلاق, وأجمل وأحسن

السجايا والشمائل, يقول جلَّ من قائل: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن:60] ولكنَّ هذا الأمر لا يمنعنا أبدًا من الحكم عليهم بما يستحقون, لا سيما إذا وقفوا في صف الكافرين, مدافعين عنهم أو مقاتلين, فإنهم يستحقون عندئذٍ القتال, لا بسبب ما تدنسوا به من قذارة

الشرك, و نجاسة الإلحاد فحسب, وإنما لأنهم أضافوا له أيضًا موالاة أعداء الدين, والصد عن سبيل الله ــ نسأل الله الهداية والرشاد ــ.
وهنا يقول:
وعن أبي البختري إذ لم يُؤذه *** وصكُ نبذهم سعى في نبذهِ
والصك يقال للكتاب, أو يقال للصحيفة, أي أنه سعى في نقض تلك الصحيفة, التي تعرف بـ "صحيفة بني هاشم" والتي وقع بسببها الحصار, والذي عُرف فيما بعد بـ "حصار الشعب", شعب بني هاشم.
وجاءه المجذر بن ذياد *** وقال: عنك قد نهى خيرُ العباد
فقال: والزميل؟ , قال: المصطفى *** لم ينه عن قتل الزميل الحنفا
أي أن المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم ينهى الحنفا وهم أصحابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن قتله, أي عن قتل صاحبه.
فقال: والنخوة تأبى والإبا *** عن تركه جبنًا وحكم الظبا
النخوة: تقال للتكبر وللأنفة, فتكبره وأنفته وعزته المزعومة, يزعم أنها تأبى أن يترك زميله أو صاحبه يقتل ولا يدافع عنه.
(عن تركه جبنًا) قال إن ذلك من قبيل الجبن والخوف والحرص على النفس,
(وحكم الظبا)
والظبا: جمع ظبة وتقال للسيف, وقيل: إنها إنما تقال لحد السيف.
لا يسلم ابن حرةٍ زميله ***حتى يموت أو يرى سبيله
وإذ نهى عن قتل عمه هفا *** أبو حذيفة وقال سخفا

وكفرت هفوته الشهادة *** يوم اليمامة لها أرادة
وإذ رآه المصطفى تضجرا *** من جر عتبةٍ أبيه اعتذرا
بأنه كان يرى أن أباه *** يمنعه عن ميتةِ السوء حجاه
فكان أبو حذيفة ــ رضي الله عنه ــ لمّا رأى أباه "عتبة بن ربيعة" يُجر ميتًا في ذلك اليوم, تضجر وكأنه أُصيب بنوع حزن, فكلمه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ذلك, فقال له: إنه قد عرف من جميل صنع أبيه, ومن يُمن نقيبته, ومن جزالة رأيه, ومن حذاقته ما قد يدخل به الإسلام, فلّما مات على شركه ولم ينتفع بذلك, حزن لما كان يظن, ولما كان يرجو من أبيه, فوقع في مثل ذلك من الحزن, ومن المعلوم أنه لا ينبغي للمرء أن يحزن على موت الكافرين, ولا أن يُصاب بأي أسى, ولا أن يستغفر لهم, ولا أن يترحم عليهم, وإنما موتهم على الكفر بعدما أقام الله عليهم الحجة, فأظهر لهم البينات, هو مما يستدعي بغضهم, ومما يستدعي البراءة منهم, لكنه قد يقع المرء في الحزن, عندما يكون يرجّي أمرًا, ثم لا يقع ذلك الأمر, وكأنه قد خاب رجاؤه فيقع نوع حزنٍ جراء ذلك, لا جراء أنه وقع وأُصيب بالحزن, بسبب أن أباه قد مات, أو أنه كان يحب أباه, فالصحابة أجلُ وأفضلُ وأكرمُ عند الله سبحانه وتعالى من أن يحبوا المشركين أو أن يوالوهم, لا

سيما أبو حذيفة من المعلوم أنه كان يقاتل قومه, وكان يقاتل عشيرته, بل إنه مر بنا قبل قليل, أن كان يقول: (نقتل آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا, ونترك عم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ـ العباس, والله لا يكون ذلك) , فدلَّ هذا على أنه لا يحبه, وإنما يبغضه, وإنما كان يُرجّي بسبب ما يعلم فيه من الحذاقة وجزالة الرأي, ما يدخل به الإسلام, فلّما لم يدخل الإسلام وقع منه ذلك, والله تعالى أعلم.
والحجا: تقال للعقل, كان يرى أن أباه أنه يمنعه من ميتة السوء حجاه, ولكن من المعلوم أن الأمر إنما هو هداية {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} , فلا بد من إدراك هذا الأمر, ولذلك نجد

أن من الناس حذّاقًا وعقلاء لكنهم يموتون على شركهم, ومن الناس من هم دونهم ولكنهم يموتون على التوحيد والإيمان {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ} [الإسراء:20] , فلا بد من تحقيق هذا الأمر, فإذا ما رأينا بعض الحذّاق في هذه الدنيا, لا يسعون مسعى الأخيار, وإن كانوا يأخذون ببعض جوانب الحق, لا يدل أبدًا سعيهم على أن ما فعلوه هو الحق, لأن الحق لا يعرف بالعقل, وإنما يعرف بالنقل, وبالوحي قبل كل ذلك, ولكن العقل إنما يعيننا فقط على التمسك, وعندما نكون عقلاء و أذكياء وحذّاقًا على وجه الحقيقة, فإننا سنصدق هذا الوحي وسنتبعه, ولذلك حذاقة الحذّاق, وذكاء الأذكياء, في هذه الدنيا, ما لم يهتدوا به إلى الحق الذي هو "الوحي" فإنه لا يعتبر كذلك, إنما هو من باب العقل مجازًا , لا من باب الحق على وجه الحقيقة, لأن المشركين ــ نسأل الله السلامة والعافية ــ حتى وإن كنا نعتبرهم عقلاء وحذّاقًا, فإنهم ليسوا كذلك, بل سيعترفون بهذه الحقيقة على أنفسهم في النار, كما في قوله سبحانه وتعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:10] فالميزان هو الوحي؛ لا ما يفعله الحذّاق بميزان عقول الناس, و إنما ما يفعله العقلاء والحذاق في ميزان الشريعة, الذين يتبعون شرع الله هم الحذاق, والمهتدي من هداه الله بالعمل بهذا الوحي, وهو العاقل حقيقة, أما العقلاء والأذكياء عندما نطلق هذه الصفات على بعض الناس في هذا الزمان, ممن لم يحققوا الإيمان فإن إطلاق ذلك إنما هو مجازي وليس هو حقيقيًّا كما هو معلوم, ثم قال:
وإذ معاذٌ بن عمرو بن الجموح ***أطن ساق ابن هشام الطموح
فطرح ابنه الهزبر عكرمة***عاتقه وجرّه في الملحمة
ألصق خير مرسلاً فالتصقا ***عاتقه لما عليه بصقا
ـــ صلى الله عليه وسلم ــ هاهنا يشير إلى قصة معاذ ابن عمرو ابن الجموح, ذلك لأنه لما دخل الميدان, سمع الناس يذكرون أبا جهل, ويقولون: إنه لا يقرب, ويذكرون من شجاعته

ومن فرط قوته وشدته ما يذكرون, فعمد إليه بخيله كما ذكر ذلك ابن إسحاق والواقدي وابن سيد الناس وغيره واحد, وضربه على ساقه, فسقطت ولما سقطت عمد إليه عكرمة بن أبي جهل ــ رضي الله عنه ــ قبل إسلامه, وضرب معاذ بن عمرو على عاتقه ــ أي على يده ــ وأصبحت معطله لا يستطيع أن يضرب بها, بل إنه ذكر أنها أرهقته سائر يومه عن القتال, فلما أرهقته و أتعبته عمد إليها وجعل عليها قدمه ــ رضي الله عنه ـــ ثم رفع رأسه فسقطت, وقاتل

سائر يومه بدونها, فلما انتهت المعركة حمل يده وأتى بها النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـ, وذكر القاضي عياض بن موسى ـــ رحمه الله ـــ في الشفاء في رواية إن النبي صلى الله عليه وسلم: بصق عليها وردها إلى مكانها وهذا ما أشار إليه الناظم بقوله:

ألصق خير مرسل فالتصقا ***عاتقه لما عليه بصقا

ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومعاذ بن عمرو بن الجموح, هو ابن عمرو بن الجموح وعمرو بن الجموح, هو الأعرج الذي استشهد يوم أحد, وهناك يقول الناظم رحمه الله:

واستشهدَ الأعرجُ عمرُو بنُ الجمُوحْ

ـــ رضي الله عنه ـــ ومن المعلوم أنه "سيد بني سلمة", وقد أتاه النبي صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري وغيره وقال لهم: "من سيدكم؟ ", فقالوا له: الجعد الأبيض بشر بن البراء, وفي رواية: الجعد الأبيض عمرو بن الجموح, وذكر أهل السيرة أنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وفي رواية البخاري وعند غيره أنه قالوا له: الجد ابن قيس على بخله وقال لهم: أي داء أدوى من البخل؟ قالوا له: بني الجعد الأبيض عمرو بن الجموح, كما في رواية أهل السيرة وفي رواية البخاري أن الجعد الأبيض بشر بن البراء قال في ذلك شاعرهم:

وقال رسول الله والحق قوله *** لمن قال منا من تعدون سيدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده *** وحق لعمرو عندنا أن يسودا

فتى ما تخطى خطوة لدنيةٍ *** ولا مد في يوم إلى سوءةٍ يدا
إذا جاءه السؤال أنهب ماله *** وقال: خذوه إنه عائدٌ غدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي ***على مثلها عمر لكنت المسودا

ومن المعلوم أن الجد بن قيس هذا, هو الوحيد الذي تخلف عن بيعة الرضوان في خروج النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إلى مكة, يريد العمرة وحبسه المشركون في الحديبية ـــ كما هو معلوم ـــ, وبايعوه "بيعة الرضوان" تخلف الجد بن قيس, وكان جابر بن عبد الله يقول إنه كان يراه وهو يختبئ خلف بعيره, وهو الذي نزل به قول الله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [التوبة:49] وهو الذي قال ذلك اليوم يوم تبوك: {لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرّ} [التوبة:81] نسأل الله السلامة والعافية {قُلْ نَارُ جَهَنّمَ أَشَدّ حَرّاً لّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} [التوبة:81] نزل فيه كل ذلك؛ فلم يستحق بذلك "سيادة بني سلمة"، وأما عمرو بن الجموح والد صاحبنا فإنه كان سيدًا, لأنه كان يجود بماله, وكان يجود أيضًا بنفسه ومهجته, وعلى هذا ربيَّ معاذ بن عمرو, ولمعاذ بن عمر مع معاذ بن جبل وغيرهما من فتيان بني سلمة قصة طريفة مع عمرو بن الجموح ـــ رضي الله عنهم أجمعين ـــ

فإنه كان عنده صنم صغير, والأصنام كلها كذلك, كان يعبده ويحبه أيّما حب ويجله, فكان ابنه وهو صاحبنا الذي ضرب هاهنا أبا جهل وغيره من فتيان بني سلمة يأتونه ليلاً ويأخذونه ويرمونه مع الأقذار والأوساخ, وكلما أصبح عمد يبحث عن صنمه, وعندما يجده يطيبه ويبخره ويحسن من هيئته, ولما أعادوا ذلك مرارًا وفعلوه مرات كثيرة, قام فعلق في عنقه سيفًا صلبًا, وقال له: هذا سيف فاحْمِ به نفسك, فعندما أتى الفتيان أخذوا الصنم وأخذوا السيف وقطعوا به عنق

ذلك الصنم, وربطوه في بئر "بُضاعة", وكانت بئرًا تُرمى فيها الحيض كما عند أهل السنن من حديث جابر وغيره في قصة إن الماء لا ينجس, فعلقوه هاهنا وربطوا

إليه جيفة كلب نتن قد مات, ولما أصبح ورأى صنمه على تلك الهيئة, ساءه ما رأى وعلم أن مثل هذا ما كان ليعبد, وعند ذاك كلمه الفتية في أمر الإسلام ودخل في الإسلام ــ رضي الله عنه ــ, وأنشد في ذلك رجزًا كنت أحفظه ولكن نسيته لقدم عهدي به.
معاذ بن عمرو ــ رضي الله عنه ــ هو الذي ضرب أبا جهل وقتله, ومن المعلوم أنه كما في صحيح البخاري وغيره أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قضى بسلب أبي جهل لمعاذ بن عمرو ابن الجموح, مع أنه قتله معه أيضًا ابنا عفراء, وقد ورد هذا عند البخاري وغيره من حديث عبدالرحمن بن عوف ــ رضي الله عنه ــ, وقد أتياه فتيان ابنا عفراء ومعاذ بن عمرو وسألاه عن أبي جهل وقالوا له: يا عم, وسألاه عنه وكان يتعجب من أمرهما, فعمدا إليه وضرباه حتى أرديا صريعًا, وأتيا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: "من منكما قتله؟ "، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته يا رسول الله, فأمرهما أن يرياه سيفيهما, فلما رأى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سيفيهما ونظر فيهما وقال: "كلاكما قتله", وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو ــ رضي الله عنه ــ.
وجاء أيضًا عند أهل السيرة وغيرهم أن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أيضًا شارك في قتله وسنجد هذا أيضًا في نظمنا ــ بإذن الله ــ.
ومن هنا تكلم أهل العلم عن السلب؛ فمن المعلوم أن السلب هو ما يسلبه القاتل من المشرك القتيل, فلذلك فالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما في الصحيح وغيره قال: (من قتل قتيلاً فله سلبه أجمع) وفي سنن أبي داوود أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قضى بالسلب للقاتل فأصله في صحيح مسلم أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال يوم حنين: (من قتل قتيلاً فله سلبه) واختلف أهل العلم؛ هل كل قتيل قتله قاتل مسلم له سلبه أم لا بد في ذلك من شرط؟ وهو أن يأذن الإمام كأن يقول الأمام: من قتل قتيلاً فله سلبه، كما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والراجح على العموم, وهذا كان من المعلوم عند

الصحابة, لأنه يوجد أكثر من صحابي كان يسأل الله سبحانه وتعالى أن يلاقي مشركًا فارسًا قويًّا فيقتله ثم يأخذ سلبه, فقد وقع ذلك من عبدالله بن جحش, ووقع ذلك من سعد بن أبي وقاص, ووقع مثل ذلك عن غير واحد من الصحابة أورد تلك الآثار أبو عبد الله الحاكم وغير ذلك من المحدثين, وهو مشهور في مصادر السير, فلما كان هذا من الأمور المعلومة والمعروفة عندهم, قالت طائفة من أهل العلم: إنما خرج هذا الأمر منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مخرج التحريض: (من قتل قتيل فله سلبه) ولذلك في يوم حنين لما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلك, قام أبو طلحة زيد بن سهل النجاري, وكان من الفرسان الأقوياء الشداد, وقتل عشرين من المشركين وأخذ أسلابهم, ولذلك قال البدوي في الأنساب:
بيده يوم حنين قصما*** عشرين فيه غنما

ـــ رضي الله عنه ـــ وهو الذي كان يقول:
أنا أبو طلحة واسمي زيد *** وكل يوم في سلاحي صيد
فقالوا: إن قوله: (من قتل قتيلاً فله سلبه) إنما هو لتحريضهم, أما الأمر فإنه كان معلومًا عندهم أن من قتل قتيلاً فله سلبه, فمن أهل العلم من قال: إنه يشرع في ذلك إذن الإمام, ذهب لذلك بعض المالكية, وقال به الأحناف, وذهب إليه بعض الشوافع, ومنهم من قال: يفترض في ذلك البينة, لأنه جاء في بعض الروايات زيادة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـــ قال: (من قتل قتيل له عليه بينة فله سلبه) , ولكن الراجح أنه أيضًا لا تشترط في ذلك بينة, وأنه لما أتاه ابنا عفراء ومعاذ بن عمرو لم يسألهم النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عن بينة, إنما نظر في سيفيهما, وذلك لا يعد من قبيل البينات, وإن كان بعض أهل العلم قال: إن نظره في ذلك يفيد معنى, وإن كان يفيد معنى, وإنما يفيد المعنى إنما لأنهما تنازعا في ذلك, فقال كل واحد منهما إنه قتله.

وأهل العلم تنازعوا في هذه القصة نزاعًا شديدًا معروفًا, وعلى كل حال؛ فالراجح والله تعالى وتبارك أعلم أن السلب للقاتل, وأن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أعطى السلب لمعاذ بن عمرو ابن الجموح؛ ذلك لأن ضربته كانت هي الضربة المؤثرة في عدو الله أبي جهل, فكانت هي الضربة القاتلة وإنما قال: (كلاكما قتله) تطييبًا لخاطرهما, كما قال عامة أهل العلم فذهب إلى ذلك الصنعاني وغير واحد قال ذلك في "بلوغ المرام" يعني في "سبل السلام"
والله سبحانه وتعالى أعلم, وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.